جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية

Mohmmad Bin Ali Assanosi University

كلية التأريخ والحضارة

المجلة العلمية
للدراسات التاريخية والحضارية

Scientific Journal of Historical and Civilizational Studies

العدد الثاني عشر

ديسمبر / 2023 **م**

ت	المحتويات	رقم الصفحة
.1	الأطماع الاقتصادية الرومانية في اليمن وفزان من عام 24 ق. م حتى عام 19ق.م" حملة ايليوس جاليوس Aelius Gallus وحملة كورنيليوس بالبوس Cornelius Balbus إعداد: د. فاطمة سالم عمر العقيلي- أستاذ مشارك بقسم التاريخ - جامعة بنغازي	5
.2	العلاقات التجارية للمملكة الجرامانتية - الدكتور/ رمضان عبد الرازق مختاظ إبراهيم أستاذ مساعد بجامعة بنغازي / كلية الآداب والعلوم المرج	38
.3	النخب السياسية والعسكرية في إقليمي طرابلس وبرقة ودورها في إبراز سمات الهوية الوطنية (1912- 1922م) - وليد الهادي محمد معومه- قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية	59
.4	المفاوضات بين عمر المختار والإيطاليين 1929مد.علي عيسى علي الدعب جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية	91

المجلة العلمية للدراسات التاريخية والحضارية

Scientific Journal of Historical and Civilizational Studies

رئيس هيئة التحرير

د. علي إبراهيم محمد عمران

نائب رئيس التحرير

أ.عبد السميع عبد الكريم أبريدان

منسق المجلة : منى طه زيدان

المراجعة اللغوية

أ-إيمان محمد اللافي

الإشراف على الطباعة والتصميم

أ . أحمد بوزهرة

اللجنة الاستشارية للمجلة :

م	الاسم	الصفة
1	د. الرويعي محمد علي اقناوي	أستاذ دكتور
3	د. سعد صالح الدلال	أستاذ دكتور
4	د. محمد فضيل	أستاذ دكتور
	د. سعيد محمد غريدة	أستاذ مشارك
5	د. زكيه بن ناصر القعود	أستاذ مشارك

رقم الإيداع بدار الكتب الوطنية 2018/225

ISSN:2789-018X

رابط المجلة : fhcj@jus.edu.ly أو موقع الجامعة الإلكتروني : ius.edu.ly

الأطماع الاقتصادية الرومانية في اليمن وفزان من عام 24 ق. م حتى عام 19ق.م" حملة ايليوس جاليوس Aelius Gallus وحملة كورنيليوس بالبوس Cornelius Balbus نموذجا " .

إعداد: د. فاطمة سالم عمر العقيلي

أستاذ مشارك بقسم التاريخ – جامعة بنغازي

الملخص

عقب سيطرة الرومان على مصر عام 31 ق.م، أصبح امتداد الإمبراطورية الرومانية وتحت حكم أغسطس يمتد في قسمه الشرقي من البحر الأسود ووادي الفرات شرقا وحتى المناطق المطلة على سواحل البحر المتوسط، كما شمل أجزاء من أوروبا الغربية امتد من الحدود الجرمانية شرقا وحتى إسبانيا غرباً، أما بالنسبة إلى الشمال الأفريقي فقد أخضع الرومان جل مناطقه وأصبح تحت الحكم الروماني المباشر في صورة ولايات رومانية، باستثناء مملكة موريتانيا التي كانت تحت الوصاية الرومانية يحكمها الملك يوبا الثاني من عام 25 قم، أما المناطق التي لم تخضع للحكم الروماني المباشر فقد تمثلت في مواطن القبائل الداخلية مثل قبائل الجرميون (Γαραμαντες) والجيتولي (Γαιτουλοι)، والمور (Μαυρουσιοι).

وقد عدد الجغرافي استرابون في كتابه الجغرافية الولايات الرومانية والتي تقاسمها أغسطس بينه وبين مجلس الشيوخ الروماني والبالغ عددها سبعة وعشرون ولاية، منوهاً في الوقت ذاته إلى الشعوب والقبائل الخارجة عن السيطرة الرومانية والمتمثلة في الهنود والباكتريون والسكثيون والعرب والأثيوبيين، من جهة أخري اعتمد الرومان وعقب احتلالهم لكل المناطق السابقة الذكر سياسة الاستنزاف لكل ما يوجد بهذه الولايات، فلم يكفيها أنها حولت العديد من سكان هذه الولايات إلى عبيد مثلما حدث لقرطاجة والتي تم بيع خمسين ألف من سكانها في أسواق العبيد، نجدها تستغل كل الثروات الموجودة في هذه الولايات، وفي الوقت نفسه لم تتوقف أطماعهم عند هذا الحد بل نجد أنهم يتطلعون إلى السيطرة على خطوط التجارة العالمية آنذاك، وقد كان خط التجارة الشرقية والتي كان زمام أمورها بيد القبائل اليمنية، بالإضافة إلى خطوط التجارة الصحراوية في الشمال الأفريقي والذي يرتكز في يد الجرميون أشهر خطين تجاريين سعى الرومان وبكل عزم إلى السيطرة عليهما، وقد وصلنا من خلال المصادر الأدبية خبر حملتين عسكريتين شنهما الرومان في الفترة الممتدة من 26 وحتي 19 ق م، وقد تمثلت هذه الحملات في حملة ايليوس جالوس على اليمن عام 26-24 ق م، وحملة كورنيليوس بالبوس على الجرميون بالجنوب الليبي عام 19ق.م، وذلك بهدف السيطرة على خطي التجارة الشرقية والصحراوية.

ومن هنا جاء اختيارنا لموضوع هذا البحث وهو الأطماع الاقتصادية الرومانية من عام 24 ق.م وحتى عام 19ق.م" حملة ايليوس جاليوس على اليمن عام 26-24 ق م، وحملة كورنيليوس بالبوس على الجرمنيين عام 19ق.م نموذجا" دراسة مقارنة من حيث الأسباب والأحداث والنتائج، وتكمن أهمية الموضوع في كونه يعالج فترة مهمة من تاريخ المنطقة العربية والتي تمت معالجة أحداثها بشكل فردي بدون النظر إلى كونها كانت نتيجة سياسية رومانية متسقة وموحدة حتى أن أحداث هاتان الحملتان قد تشابهت في عدة جوانب.

وتعالج اشكالية البحث الأسباب الحقيقية التي كانت وراء الحملتين، كما تتناول مسار هذه الحملة والنتائج التي أسفرت عنها، ويرتكز هذا البحث على ثلاثة عناصر رئيسية هي كالتالي:

- أولاً: "الحملة الرومانية على اليمن الأسباب والأحداث والنتائج".
- ثانياً: "الحملة الرومانية على الجرميون الأسباب والأحداث والنتائج".
- ثالثاً: التحليل والمقارنة بين الحملتين، ثم خاتمة نوجز بها كل ما توصلنا اليه، تليها قائمة للمصادر والمراجع.

مفتاح البحث: الجرميون – كورنيليوس بالبوس– اليمن – ايليوس جاليوس – الرومان

Abstract

After the Romans took control of Egypt in 31 BC, the extension of the Roman Empire, under the rule of Augustus, extended in its eastern part from the Black Sea and the Euphrates Valley in the east to the areas overlooking the coasts of the Mediterranean Sea. It also included parts of Western Europe that extended from the German border in the east to Spain in the west.. As for North Africa, the Romans subjected most of its regions and it came under direct Roman rule in the form of Roman states, with the exception of the Kingdom of Mauritania, which was under Roman tutelage and ruled by King Yuba II from the year 25 BC. As for the regions that were not subject to direct Roman rule, they were In the habitats of inland tribes such as the Garamantes (Γαραμαντες), the Getuli (Γαιτουλοι), and the Moors (Μαυρουσιοι).

The geographer Strabo enumerated the Roman states, which Augustus shared between him and the Roman Senate, amounting to twenty-seven states, noting at the same time the peoples and tribes outside Roman control, represented by the Indians, Bactrians, Scythians, Arabs, and Ethiopians. On the other hand, the Romans adopted, and after their occupation of, all the aforementioned regions. The policy of depleting everything that exists in these states. It was not enough for it to turn many of the residents of these states into slaves, as happened to Carthage, which had fifty thousand residents sold in slave markets. We find it exploiting all the wealth present in these states, and at the same time their ambitions did not stop there. Rather, we find that they were looking forward to controlling the global trade lines at that time. The eastern trade line, which was in the hands of the Yemeni tribes, in addition to the desert trade lines in North Africa, which was based in the hands of the Germans, was the two most famous trade lines that the Romans sought with all determination to control. Through literary sources, we have received news of two military campaigns launched by the Romans in the period extending from 26 to 19 BC.

These campaigns were represented by the campaign of Aelius Gallus against Yemen in the year 26-24 BC, and the campaign of Cornelius Balbus against the Garamantes in southern Libya in the year 19 BC. Hence our choice of the subject of this research, which is Roman economic ambitions from the year 24 BC to the year 19 BC. “The campaign of Aelius Gallius against Yemen in the year 26-24 BC, and the campaign of Cornelius Balbus against the Garamantes in the year 19 BC as a model.” A comparative study in terms of causes, events, and results. The

importance of the topic lies in the fact that it deals with an important period in the history of the Arab region, the events of which were dealt with individually without considering that they were a consistent and unified Roman political result, so that the events of these two campaigns were similar in several aspects.

The research problem is as follows 1- What are the reasons behind the two campaigns? What is its path? What are the results it produced?

This research was divided into three main components as follows:

- First: The Roman campaign Against Yemen: Causes, events, and results.
- Second: The Roman campaign Against the Garamantes: Causes, events, and results.
- Third: Analysis and comparison between the two campaigns, then we conclude with a conclusion in which we summarize everything we have achieved, followed by a list.

Search key: Garamantes-Cornelius Balbus-Yemen-Aelius Gallius-The Romans.

تمهيد:

عقب سيطرة الرومان على مصر عام 31 ق.م، أصبح امتداد الإمبراطورية الرومانية وتحت حكم أغسطس يبدا في قسمه الشرقي من البحر الأسود ووادي الفرات شرقا وحتى المناطق المطلة على سواحل البحر المتوسط، كما شمل أجزاء في أوروبا الغربية امتدت من الحدود الجرمانية شرقا وحتى اسبانيا غرباً[1]، أما بالنسبة إلى الشمال الإفريقي فقد أخضع الرومان أغلب مناطقه وأصبح تحت الحكم الروماني المباشر في صورة ولايات رومانية[2]، باستثناء مملكة موريتانيا التي كانت تحت الوصاية الرومانية يحكمها الملك يوبا الثاني من عام 25 ق م[3]، أما المناطق التي لم تخضع للحكم الروماني المباشر فقد تمثلت في مواطن القبائل الداخلية مثل قبائل الجرمنتس Γαραμαντες والجيتولي Γαιτουλοι، والمور Μαυρουσιοι [4].

وقد عدد الجغرافي استرابون في كتابه الجغرافيا الولايات الرومانية والتي تقاسمها أغسطس بينه وبين مجلس الشيوخ الروماني، حيث بلغ عددها سبعة وعشرين ولاية، منوهاً في الوقت ذاته إلى الشعوب والقبائل الخارجة عن السيطرة الرومانية والمتمثلة في الهنود والباكتريون والسكيثيون والعرب والأثيوبيين[5].

اعتمد الرومان وعقب احتلالهم لكل المناطق السابقة الذكر سياسة الاستنزاف لكل ما يوجد بهذه الولايات، فلم يكفيها أنها حولت العديد من سكان هذه الولايات إلى عبيد مثلما حدث لقرطاجة والتي تم بيع خمسين ألفاً من سكانها في أسواق العبيد[6]، نجدها تستغل كل الثروات الموجودة في هذه الولايات[7]، وفي الوقت نفسه لم تتوقف أطماعهم عند هذا الحد بل نجد أنهم يتطلعون إلى السيطرة على خطوط التجارة العالمية آنذاك، وقد كان خط التجارة الشرقية والتي كان

---

(1) C. Scarre. "The Eastern Provinces," The Penguin Historical Atlas of Ancient Rome. London: Penguin Books,1995, 74–75Lintott, Andrew (1993). Imperium Romanum. London: Routledge. , pp ; A. H. M. Jones. "The Imperium of Augustus", J RS, vol. 41, Parts 1 and 2.(1951), pp.112–19.

(2) Strabo, Geography,XVII,3,25.

(3) D. W. Roller: The world of Juba II and Kleopatraselene ,Routledge,2003,pp. 91–119.

(4) Strabo, XVII,3,23.

(5) Ibid.

(6) أوراسيوس، تاريخ العالم، المؤسسة العربية للنشر، ت . عبدالرحمن بدوي، بيروت، الطبعة الأولى، 1982، ص ص 314–315.

(7) م. رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ت . زكي علي، محمد سليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1957، الجزء الأول، ص ص379–401.

زمام أمورها بيد القبائل اليمنية[8]، بالإضافة إلى خطوط التجارة الصحراوية في الشمال الأفريقي والتي كان أشهر خطين تجاريين فيها تحت سيطرة الجرميون، لهذا سعى الرومان وبكل عزم على السيطرة عليهما[9].

وقد وصلنا من خلال المصادر الأدبية خبر حملتين عسكريتين شنها الرومان في الفترة الممتدة من 26 وحتى 19 ق م، وقد تمثلت هذه الحملات في حملة ايليوس جالوس Aelius Gallus[10] على اليمن عام 26-24 ق م، وحملة كورنيليوس بالبوس Cornelius Balbus على الجرميين بالجنوب الليبي عام 19ق.م[11]، وذلك بهدف السيطرة على خطي التجارة الشرقية والصحراوية.

ومن خلال المادة العلمية والخاصة بهذا البحث قمنا بتقسيمه إلى ثلاث عناصر رئيسية نستعرض في الأول منها الحملة الرومانية على اليمن الأسباب والأحداث والنتائج، ثم الحملة الرومانية على الجرميين الأسباب والأحداث والنتائج ثانيا، ثم نتناول في الثالث منه التحليل والمقارنة بين الحملتين .

أولا: الحملة الرومانية على اليمن عام 26ق.م

1- الأسباب السياسية والإستراتيجية:

عقب سيطرة الرومان على مصر عام 31ق.م، أخذت أنظار الرومان ترنو إلى المنطقة العربية التي أطلق عليها الإغريق اسم العربية السعيدة (Εὐδαίμων Ἀραβία) [12] وذلك عقب سيطرتهم على مصر، حيث أصبحوا ورثة الدولة البطلمية ولهم الحق في تحويل البحر الأحمر إلى بحيرة رومانية أسوة بالبحر المتوسط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تزامن سيطرة الرومان على مصر مع ارتباط الرومان بعلاقات تجارية مع الهند [13]، وقد وردتنا إشارات حول ذلك من قبل نيكولاس الدمسقي(Νικόλαος Δαμασκηνός) ونقلها لنا استرابون وتتمثل هذه الإشارات "**أنه قيض له أثناء وجوده في أنطاكيا مقابلة سفراء هنود كانوا متوجهين لمقابلة أغسطس**"[14]، وفي

(8) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، 1993، الجزء الثاني، ص 43.

(9) R. C. C. Low, "The Garamantes and trandSaharan" ,J.H ,VIII,1967,181-200.

(10) Strabo, Geography, XVI, IV. 23-24.

(11) Pliny: Natural History , V. 36-38.

(12) Strabo, Geography, XVI. 3, 2; Diodorus of Sicily, The library of history, I, 15, 6; II, 54, 6; Diocassius, Roman History, LIII, 29, 3.

(13) M. Chandra , Trade And Trade Routtes In Ancient India, Internet Archive Python library,1977,pp. 12-14.

(14) Strabo, Geography,II,5,12.

موضع آخر أشار إلى "**سفراء أرسلهم ملك هندي كان يدعى باندیونا بوبورا كانوا محملين بهدايا إلى أغسطس**"[15].

وقد نتج عن هذه اللقاءات أن ارتبط الرومان بعلاقات تجارية مع الهند حيث أورد استرابون أنه "أثناء إبحاره مع ايليوس جالوس في نهر النيل علم أن هناك حوالي مائة وعشرين سفينة كانت تبحر من ميناء ميوس هورموس[16] (Μυός Ὅρμος) باتجاه الهند[17] حيث تدفقت عن طريق هذه الرحلات سلع الهند وبلاد العرب ومنها إلى روما ومدن الإمبراطورية، ونظراً إلى أن هذه السفن كانت تدفع ضرائب ومكوس جمركية للفرس في مضيق هرمز قدرت بعشر قيمة السلعة، ثم إتاوات ضخمة لزعماء القبائل الحميرية في حضرموت وللسبائيين في ميناء مخا (موزا الحالي)، فقد تقرر إرسال حملة عسكرية لإخضاع هذه القبائل.

وهناك من يرى أن روما هدفت من هذه الحملة الوقوف في وجه النفوذ البارثي "الفارسي" في المنطقة وحماية الطرق التجارية التي تربط روما بالشرق، لاسيما أن ذلك النفوذ قد امتد إلى منطقة بلاد الرافدين والخليج العربي مما جعلهم يحكمون قبضتهم على طريق تجارة الشرق البري الشمالي المتجه غربا إلى روما[18]، بالإضافة إلى طريق الخليج العربي، كما سعى الفرس إلى بسط نفوذهم على اليمن ومن ثم السيطرة على الطريق الجنوبي الغربي والذي يربط الهند والشرق الأقصى والبحار الجنوبية بمناطق النفوذ الروماني وحوض البحر المتوسط، وهو ما كانت تخشاه روما ويمثل تهديدا خطيرا لها"[19].

على أي حال يبدو أن الرومان كانوا على دراية بالأوضاع السياسية التي كانت جارية هناك، حيث يشير المؤرخ عبد العزيز صالح إلى أن القبائل الوسطى والجنوبية كانت تعاني من حالة من التشتت والفرقة حيث كانت قد دخلت في القرن الأول الميلادي في صراع شديد على

---

(15) Strabo,XV,1,4.

(16) هو ميناء علي البحر الأحمر أسسه بطليموس الثاني فيلادلفوس على رأس يحمل نفس الاسم، في القرن الثالث ق. م، بعد أعمال التنقيب التي أجراها مؤخرًا ديفيد بيكوك ولوسي بلو من جامعة ساوثامبتون، يُعتقد أنها كانت موجودة في موقع القصير القديم، على بعد ثمانية كيلومترات شمال مدينة القصير الحديثة. في مصر، راجع: Gauthier, Henri – Dictionnaire des Noms Géographiques Contenus dans les Textes Hiéroglyphiques,1929, T.6 ,p64-67.

(17) Strabo,XVI,4,24.

(18) عبد المجيد حمدان، "حملة ايليوس غاليوس الرومانية سنة 24 ق م وانتصار اليمن علي الرومان "، مجلة دراسات تاريخية، العدد135، 2017، ص 280؛ حنان عيسي جاسم، "السياسة الرومانية إتجاه جنوبي الجزيرة العربية" ، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد الخامس، العدد17، 2013، ص 330.

(19) لطفي عبد الوهاب يحي، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، الرياض، 1979، ص 60؛حنان عيسي جاسم، المرجع السابق، ص 330.

السيادة والزعامة ما أدى إلى إضعافها[20]، وتصنف هذه الفترة بفترة الضعف والوهن والتي تتوافق مع بداية عصر ملوك سبأ وذي رايدان" أي زمن انتقال الثقل السياسي من الأودية الشرقية حيث تقع مدينة مأرب وغيرها من مدن الممالك العربية الجنوبية إلى الهضبة الغربية حيث القيعان والحصون المنيعة[21].

ويخبرنا استرابون صراحةً أن الحملة الرومانية وبقيادة ايليوس جالوس حاكم مصر **(praefectusa egypti)** قد أعدت لإخضاع العرب وبسط سيطرتهم عليهم، وأن الرومان قد عولوا وبدرجة كبيرة على مساعدة النبطيين **(Ναβαταῖος)** في دعمهم بجميع السبل[22].

كما يكشف نص استرابون مصدرنا الأول عن هذه الحملة أن الأنباط قد اشتركوا في هذه الحملة وأن الوالي سولايوس **(Συλλαιος)** [23] والذي تسميه بعض المراجع بصالح[24] قد لعب دوراً بارزاً في هذه الحملة كما سنرى فيما بعد، وربما ما ذكره استرابون من أن "**العرب لم يكونوا محاربين أشداء**" كانت فكرة زرعها الأنباط في أذهان الرومان، والذين لم يختبروا قوة العرب في حرب مباشرة[25].

وهناك من يرجع سبب قيام الأنباط بتشجيع الرومان على القيام بهذه الحملة، إلى أن هذه المملكة قد تأثرت اقتصاديا من الصراعات السياسية بين الممالك اليمنية، ونظرا لعدم قدرتها العسكرية على إخضاع هذه الممالك، ولا تأثيرها الإقليمي يسمح لها بالهيمنة على الأوضاع الداخلية لليمن، بل إن القبائل لن تقبل بتدخل الأنباط في شؤونها الداخلية لذا رأت أن تدخل الرومان سيضمن عودة الحياة مرة أخرى للطرق التجارية[26].

وفي السياق نفسه لم تكن فكرة السيطرة على بلاد العرب بجديدة، فقد كانت هذه المنطقة مطمع لكل القوى العالمية السابقة حيث أشار أريانوس إلى أن إرسال الإسكندر المقدوني وعقب سيطرته على بابل لثلاث حملات بحرية لتجوب البحار الشرقية ولتتعرف على مواطن الاستغلال في السواحل التي تحيط بشبة الجزيرة العربية[27]، وقد ورد أيضاً إرساله لبعثة بحرية من مصر

(20) عبد العزيز صالح، تاريخ شبة الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992، ص 116.

(21) سليمان بن عبد الرحمن الذيب، الحملة الرومانية على جنوب غرب الجزيرة العربية، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 2015، ص 50.

(21) Strabo, Geography,XVI,4,23.

(22) Ibid.

(24) جلين وارين بورسوك، الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة آمال الروبي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة 2006، ص 86.

(24) Strabo, Geography, XVI, 4, 23.

(26) سليمان بن عبد الرحمن الذيب، المرجع السابق، ص 52.

(27) أورد أريانوس ذكر ثلاث حملات أرسالها الأسكندر المقدوني للأستكشاف الجزيرة العربية، حيث قاد الحملة

باتجاه البحر الأحمر وقد رجح وصولها إلى باب المندب للتعرف على سواحل بلاد العرب وطبيعة الملاحة في بحارها[28].

وعقب قيام دولة البطالمة في مصر في أواخر القرن الرابع ق.م حرص ساسة هذه الدولة على استغلال السواحل الطويلة المطلة على البحر الأحمر إلى أقصي حد لها، لتليها بعد ذلك قيامهم بإرسال بعثة بحرية استطلاعية بقيادة أحد القادة والذي عاد بتقرير مفصل لكل ما شاهده[29]، كما جدد البطالمة بعض الموانئ المطلة على البحر الأحمر، بالإضافة إلى تأمين السيطرة على خليج العقبة باعتباره مخرج تجارة البحر الأحمر المتجهة براً إلى الجنوب من بلاد الشام[30]، ولعل زيادة الأساطيل البطلمية المقاتلة والتي كان هدفها المعلن تأمين السفن والمصالح التجارية، كان لها هدف على المدى البعيد وهو ترهيب وربما السيطرة على المنطقة فيما بعد[31].

2- الأسباب الاقتصادية:

إن الرغبة في السيطرة والهيمنة الاقتصادية على أي منطقة غنية كان أسلوباً نهجه الرومان، ويحضرنا في هذا السياق خطبة للقائد النوميدي يوغرطة **Jugurtha** ألقاها أمام جيشه ولأجل استمالة صهره بوكوس ملك المور للدخول معه في حربه ضد الرومان حيث قال: **(إن الشعب الروماني شعب ظلوم وبخله لا حدود له وهم أعداء البشرية، وإنهم يحاربونه هو وأمم أخرى بجيوشهم لسبب واحد رغبتهم في التسلط ، الأمر الذي جعلهم خصوما لكل الدول، اليوم أنا وبالأمس القريب القرطاجيون، والملك بيرسي، وغدا كل من يتبينون أنه الأغنى سيكون عدوهم)**[32].

لقد كان لكتابات الرحالة والمؤرخين الكلاسيكيين الإغريق والرومان دوراً بارزاً في إعطاء صورة براقة مبالغة في وصفها لبلاد العرب السعيدة **Arabia Feiix**[33]، ولا نجانب الصواب إذا

الأولى القائد أرخياس Archias والذي وصل إلى جزيرة ديلمون القديمة، أما الحملة الثانية فقد كانت تحت قيادة أندروستنيس Androsthenes الذي أبحر حول شبة الجزيرة العربية من الشرق للغرب، أما الحملة الثالثة فقد قادها هيرون Hieron، ومن المرجح ان الحملات الثلاثة قد تمت في الفترة من عام 324-323 ق.م، أنظر: Arrian,Anabasis, VII, 20,7-8؛ راجع أيضاً بالخصوص: أبو اليسر فرح، "حملات الإسكندر الأكبر وتطور المعلومات الجغرافية عند الإغريق" ، حوليات كلية الآداب، جامعة عين شمس، العدد29، 1999، الجزء الثاني، ص ص 54-55.

(28) عبد العزيز صالح، مرجع سابق، ص 109.

(29) نفسه، ص 109.

(30) جواد علي، مرجع سابق، ص ص 22-29.

(31) عبد العزيز صالح، مرجع سابق، 109.

(32) **Sallust, The War with Catiline. The War with Jugurtha** ,LXXX.

(33) Strabo, Geography, XVI, 3,2; Diodorus of Sicily, The library of history, I, 15, 6; II,

قلنا أن هذه الكتابات قد أسالت لعاب الرومان وجعلتهم يحلمون بالحصول على ثروات كبيرة من هذه البلاد في حالة غزوها والسيطرة عليها، حتى أن استرابون أكد على أن هدف الحملة كان " **السيطرة على أعداء أغنياء**"[34] أما ديودورس الصقلي فيصف العربية السعيدة " **بأنه البلد الذي يعج بأكثر الخيرات حظوة في نظرنا**" [35].

ويشير استرابون إلى أن سبب ثراء السبائيين **(Σαβαιοι)** والغيريين**(Γερραιοι)** كان التجارة حيث يصف مدى ثرائهم بقوله: "**يملكون مصنوعات ذهبية وفضية كثيرة جدا وأسرة ومناضد ثلاثية الأرجل وأواني لمزج الخمر وأكوابا بالإضافة إلى بيوت ممتازة، لأن الأبواب والجدران والسقوف مزينة بكثير من أنياب الفيلة والذهب والفضة والأحجار الثمينة**"[36]، ويتوافق ما ذكره استرابون مع ما أورده ديودورس الصقلي الذي أكد على مدى ثراء السبائيين بقوله: "**إنهم لا يتفوقون بما لديهم من ثروات ومنتجات ثمينة من شتى الأنواع على ما عداهم من جيرانهم العرب فحسب، بل وعلى كافة شعوب العالم أيضا**"[37].

حقيقة أن محاولة تحديد كل السلع التي تاجرت فيها الممالك اليمنية وحاول الرومان – ومن خلال هذه الحملة – كسر احتكارها لها قد تبدو صعبة، إلا أننا ومن خلال المصادر الكلاسيكية يمكن أن نحدد بعضها في الآتي:

1- **البخور:**

أ- **اللبان (λίβανος)**: يُعد اللبان من أهم النباتات التي حظيت بشهرة في العالم القديم، حيث كان أغلى الطيوب في بلدان الشرق القديم وحوض البحر المتوسط حيث أن استعماله لم يقتصر على المعابد التي كان يتوجب حرق البخور لدى تقديم القرابين للآلهة، وإنما كان يحرق لدى القيام بمراسم الدفن وفي الاحتفالات العامة التي تقام لتكريم الأحياء وكان يقدم كهدية ثمينة[38].

لقد أشار هيرودوتوس إلى أن بلاد العرب كانت تزخر بالبخور والمر والقرفة والليدانون[39]، وقد وصف ثيوفراستوس شجرة اللبان بأنها ليست كبيرة وتحمل أوراقاً مثل أوراق الغار الأملس، وفي موضع آخر يشير إلى أن اللبان الذي يجمع من أشجار صغيرة يكون لونه أكثر بياضا وأقل رائحة

54, 6; Diocassius, Roman history, LIII,29,3.

(34) Strabo, Geography,XVI,4,22.

(35) Diodorus of sicly, The library of history, III,46.

(36) Strabo, Geography ,XVI,4.

(37) Diodorus of Sicly,III,47,4-9.

(38) يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الثانية، 1990، ص 314.

(39) Herodotus, The Histories ,III,107.

عكس الذي تم جمعه من أشجار كبيرة إذ يكون لونه أصفر وأكثر عطراً[40] وتكشف النقوش اليمنية القديمة على اسم اللبان حيث كان يسمى مبخرة، كما ورد في المعجم السبئي باسم بخور[41]، وقد حدد استرابون مناطق انتشار أشجار اللبان في أراضي السبائيين والقتبانيين Καταβανια ومن هؤلاء يتزود التجار بهذه السلع[42].

2- **المر (Μύρον)** أو الصمغ العربي: هو عبارة عن سائل صمغي تفرزه أشجار المر لونه بني أو أسود سرعان ما يتجمد عند تعرضه للهواء وهو يفرز من ساق الشجرة عند جرحها[43]، وقد أشار إليه العديد من الكتَّاب القدامى كونه أحد المنتجات التي تاجر بها سكان اليمن القديم، حيث ذكره هيرودوتوس وثيوفراستوس ضمن النباتات التي تنمو في بلاد العرب[44]، كما نوه استرابون إلى أن السابئيين والخاتراموتيس χατραμωτις "حضرموت"، **كانوا يتاجرون بهذه المادة والتي كانت تنمو طبيعيا بصورة أشجار في أراضيهم**"[45].

ويصف ثيوفراستوس شجرة المر بكونها أشجار ليست كبيرة وهي أشجار تحمل أوراقاً دائرية وشائكة وكما هو الحال بالنسبة لأشجار اللبان فقد كانت تنمو في المناطق الجبلية[46]، وقديما كان الطلب على المر واللبان شديدا لكونه مكون رئيسي في التحنيط[47]، وفي تحضير بعض مواد التجميل بالإضافة إلى دخوله في تركيبات بعض الأدوية المركبة، وقد كان الفراعنة من أولى الشعوب التي استخدمته[48]، وفي هذا الصدد كشف نقش يعود لتاجر من معين يدعي زيد إل زيد

---

(40) Theophrastus, Enquiry into Plants, IX,4,5.

(41) A.F.L. Beeston . M.A. Ghul . W.W. Müller· J. Ryckmans, Sabaic Dictionary, The university of sanaa, 1982,p81.

منير عبد الجليل العريفي، "النباتات المقدسة في الحضارة اليمنية "، مجلة الاتحاد العام للأثريين العرب، الجزء التاسع، يناير، 2008، ص. 309.

(42) Strabo, ,XVI,4,19.

(43) علي سالم باذيب، النباتات الطبية في اليمن، مطبعة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية، ب ت، ص 30-31.

(44) Herodotus, , III,107 ; Theophrastus, Enquiry into Plants, IV,4,13.

(45) Strabo, Geography ,XVI,4,,4;19.

(46) Theophrastus, ,IX,4,2-3.

(47) عبد العزيز صالح، "شبه الجزيرة في المصادر القديمة"، عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، 1984، ص 298.

(48) Herodotus, The Histories, II, 86; Strabo, Geography, XVI, 4, 4;

أجاثارخيديس الكنيدي، عن البحر الإرثيري، ترجمة الحسين أحمد عبد الله، منشورات عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية القاهرة، الطبعة الأولى، 2020، الكتاب الخامس، فقرة 89، ص 150؛ عبد العزيز صالح المرجع السابق، ص298.

دون على تابوت خشبي محفوظ في المتحف المصري بالقاهرة عن ان المر كان في قائمة صادرات المعابد المصرية حيث ورد في نص النقش " المر والقليمة لتزويد معابد آلهَة مصر "[49].

3- **القرفة (Κανέλα):** ورد ذكرها في المصادر الكلاسيكية حيث ذكرها هيرودوتوس مع البخور والمر كمنتج ينتج في أراضي اليمن القديم[50]، كما أشار إليها استرابون ضمن منتجات السبائيين وقد ذكر أن سكان مأرب كانوا يستخدمون أشجار "القرفة والسمق **(Κασια)** ونباتات أخرى بدلا من الحطب[51] ونوه هيرودوتوس إلى طقوس مارسها أهل اليمن في جمع القرفة فذكر: يقال أن هناك طيوراً جارحة كبيرة تحمل هذه القشور اليابسة والتي عرفناها من الفينيقيين ونحن نسميها القرفة، وأن هذه الطيور تحملها من أجل أن تبني أعشاشها المثبتة بالطين أعلى جبال شاهقة، وهناك لا يمكن لأي إنسان أن يصل إليها بأي طريقة وليواجه العرب ذلك فكروا فيما يلي: يقطعون أعضاء ثيران وحمير ودواب أخرى ميتة بأحجام كبيرة ويحضرونها ويضعونها بالقرب من أعشاشها ثم يبتعدون وعندما تأتي الطيور وتهبط مباشرة وتأخذ أعضاء هذه الحيوانات وتصعد بها إلى أعشاشها فلا تتحمل هذه الأعشاش ثقلها ولذلك تسقط على الأرض وهكذا يأتي هؤلاء ويجمعون القرفة"[52].

4- العطور: ذكر هيرودوتوس "إن بلاد العرب بكاملها تفوح برائحة ذات عبق سماوي" كما يشير إلى أن اللادنوان **(Ληδανον)** أو اللادن كما يسميه العرب كان ذو رائحة ذكية وأنه يدخل في العديد من تركيبات العطور[53]، أما ديودورس الصقلي فقد ذكر أنه في بلاد العرب " **تفوح أرضه بأريج طبيعي وتنبت فيه تقريبا دون انقطاع كل الطيوب الثمينة، ففي الساحل ينمو البلسم والسنط ونبات آخر ذو طبيعة خاصة**" ويستطرد فيقول: "أن **هناك شيئا ليس بمقدور أي لغة أن تعبر عنه ويتمثل في مفعول كل تلك الروائح الشذية التي تغشى حواسنا وتستثيرها**"، وفي موضع آخر ذكر أن المسافر في المراكب التي كانت تمر بمحاذاة الساحل اليمني كان أفراد المركب "يستنشقون نسمات مشبعة بالروائح الشذية"[54].

---

(49) Strabo,XVI,4,4;25;

عبدالرحمن جاويش، الموارد الطبيعية في اليمن القديم حضارة سبأ أنموذجاً من خلال النقوش اليمنية القديمة، منشورات نور حوران دمشق ،2021 ص 243

(50) Herodotus, III,107;

قارن أيضا: أجاثارخيديس الكنيدي ، عن البحر الإرثيري، الكتاب الخامس، فقرة 99 ؛ 103.

(51) Strabo, XVI,IV,19.

(52) Herodotus, III,111.

(53) Herodotus, III,112.

(54) Diodorus of Sicily, ,III,46,4-5.

5-الذهب والفضة والأحجار الكريمة:

وردت العديد من الإشارات في المصادر الكلاسيكية عن وجود معدن الذهب في بلاد اليمن، وفي هذا الصدد ذكر أجاثارخيديس الكنيدي أن ثراء سكان اليمن كان قائم على الذهب وأن درجة الرفاهية لديهم بلغت حد "**إن أعمدة منازلهم كانت تكسى بالذهب والفضة** "وفي موضع أخر يذكر " **ان الذهب والفضة تتوافر لدي السبائيين بكميات ضخمة وأنهم يصنعون منها أواني الشرب منها، كما يزخرفون السقف بها**"[55]، عن المصادر التي كان يجلب منها سكان سبأ الذهب ذكر استرابون: "**أن شعباً كان يجاور السبائيين – يعلل استرابون عدم إيراده اسمه لصعوبة نطقه ولعدم شهرته –كان يوجد لديهم منجم ذهب وهناك لا توجد النترات فقط بل كتل من الذهب لا تحتاج إلى تنظيف كثير، أما الحجم فإن الصغير من هذه الكتل لا يقل عن البذرة والمتوسط لا يقل عن حجم ثمرة المشمشة والكبير لا يقل عن حجم** بذرة الجوز، ويتزينون بها بعد أن يثقبوها ويمرروها في عقد من الكتان بالتبادل مع أحجار **كريمة شفافة ليعملوا منها عقودا أو أساور يضعونها حول رقابهم ومعاصمهم . كما يبيعون الذهب لسكان المدن المجاورة بثمن رخيص، بما يعادل ثلاثة أضعاف وزنه من النحاس أو الضعفين من الفضة ، لأنهم لا يعرفون صنعه ولندرة الأشياء التي يأخذونها مقابله والتي هناك حاجة لها بشكل أكبر في الحياة اليومية**"[56].

ويبدو أن السابئيين كانوا يحصلون على الذهب كونهم جيران لذلك الشعب حيث كان لديهم القدرة على صياغة وتشكيل الذهب ولعل ما يدعم ذلك ما ذكر عن بيوتهم والتي كانت "**أبوابها والجدران والسقوف مزينة بكثير من أنياب الفيلة والذهب والفضة والأحجار الكريمة**" [57].

ويكشف ديودورس الصقلي أن "الذهب يستخرج من باطن الأرض ويسمى الأبير **Ἄπυρος** ولا يحصل عليه كما هو الحال في الأصقاع الأخرى في شكل شذرات تجمع ثم تصهر "ويشير إلى أن قطع الذهب التي يعثر عليها " **يعثر عليها في شكل قطع بحجم ثمرة القسطل**" **وأنه نقي خال من الشوائب إلى درجة أنه لا يصهر لتنقيته بل يشكل ليطعم بالأحجار الكريمة**"[58].

أما الأحجار الكريمة فقد ثبت وجود العقيق بكثرة في اليمن خاصة في مقراً قرب صنعاء وحضرموت وخاصة في جبل شبام وقد تنوعت أنواعه منه الأصفر والأحمر وأجود أنواعه الشديد الحمرة[59]، أما حجر الجزع فقد كانت ألوانه كثيرة منها الأسود والأبيض والأزرق وقد اشتهرت به

(55) أجاثارخيديس الكنيدي، عن البحر الإرثيري، الكتاب الخامس، الفقرة 104، ص 164.

(56) Strabo, XVI,IV,18.

(57) Strabo, XVI,IV,19.

(58) Diodorus of Sicily, ,III,1,50

(59) رمضاني، أم هاني، "الموارد الطبيعية لشبة الجزيرة العربية وأهميتها"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد3، 2014، ص 31.

ظفار حتى نُسب إليها، وقد أورد بليني الأكبر ذكره وعده من الأحجار الكريمة في الجزيرة العربية(60).

هذه أهم السلع التي تاجر بها أهل اليمن القديم – ولا شك أن هناك سلع لم تذكرها المصادر – والتي نقلتها السفن التجارية إلى شتى أنحاء العالم القديم– وقد كان الطلب عليها شديدا ولم يكن الرومان مستثنون من ذلك وهذا ما عبر عنه المؤرخ الروماني بليني بقوله: " **اكتسبت بلاد العرب صفة السعيدة لأنها فياضة بحاصلات يستهويها أهل الشرق ويفاخرون باقتنائها جهازا لموتاهم، هكذا انصرف المترفون إلى حرق هذه الحاصلات البخور أمام أجساد أعزاءهم الراحلين إلى دار الفناء بعد أن كان استعمالها قبل ذلك ينحصر في مراسم العبادة لألهتهم**"(61).

وقد اشتكي بليني في كتابه من ارتفاع أسعار هذه السلع فذكر "**ويبتز عرب الجزيرة من أموال إمبراطورتينا مبلغ مليون سيستريتوس كل حول هذا على أقل حساب وتلك ثروة طائلة نبذرها على أهواء مترفينا ونسائنا** "(62).

ثانياً: مسار الحملة الرومانية على اليمن عام 26 ق.م:

أشار الجغرافي استرابون– وهو المصدر المعاصر للحملة الرومانية على اليمن – إلى أن قائد الحملة على بلاد العرب كان حاكم مصر البروقنصل ايليوس جاليوس، وقد خرج في هذه الحملة بعد أوامر جاءت إليه من الإمبراطور أغسطس عام 26–24 ق م، وقد كشف أن هذا الأخير قد سعى من خلال هذه الحملة "**أن يجعل العرب إما حلفاء له أو أن يخضعهم لسلطته**"(63).

ويستطرد استرابون في وصف الحملة فيكشف عن الهدف الحقيقي صراحة وهو مطامع الرومان في السيطرة على بلاد العرب بعد ما سمعوا عنهم من روايات كونهم " **يملكون نقوداً كثيرة لأنهم كانوا يقايضون البخور بالذهب والفضة والأحجار الثمينة جداً ولا ينفقون ما يستخرجونه من أراضيهم**"(64)، ويبدو أن الرومان قد تأملوا من الحملة أحد الأمرين: أن يتقبلهم العرب في جنوبي الجزيرة كحلفاء وأصدقاء يشاركونهم أرباح تجارتهم، أو يسيطروا عليهم الثاني فأن يسيطر الرومان عليهم كأعداء أغنياء.

لقد كان الرومان يتأملون في تحقيق مطامعهم من خلال حلفائهم في المنطقة، والذين سارعوا لدعم المشروع الروماني حيث كان الأنباط أول الداعمين وذلك من خلال أحد الولاة النبطيين

(60) Pliny, Natural History, XXXVII,24.

(61) Pliny , XII,41,1.

(62) Pliny, ,XII,41,84.

(63) Strabo, XVI,IV,22 ; XVII,1,29; pliny, VI,32;7.

(64) Strabo, Ibid.

وكان يدعى سولايوس (Συλλαιος) أو صالح حيث تبرع بأن يقود هذه الحملة إلى جانب ايليوس مزودهم بكل ما يحتاجونه من دعم ومعلومات وقد تكونت الحملة الرومانية التي أعدها ايليوس من عشرة آلاف مقاتل كانوا موجودين في مصر بالإضافة إلى ألف مقاتل نبطي مع سولايوس وخمسمائة مقاتل يهودي (Ιουδαίοι) أرسلهم هيرودس ملك يهوذا[65].

يكشف استرابون عن تعثر الحملة، حيث ذكر أن ايليوس قام بتشييد سفن كبيرة حربية في مدينة كليوبتريس(Κλεοπατρις) وقد بلغ عددها ثمانين سفينة – ولا شك أن بناء هذه السفن قد استغرق وقتاً وجهداً – في وقت كان لا يتوقع أن يخوض حرب ضد العرب في البحر، وهذا دليل آخر في سوء التخطيط، ثم يقول إنه" **وبعد أن علم بخطئه قام بصناعة مائة وثلاثين مركباً نقلته مع عشرة آلاف مقاتل من المشاة، بالإضافة إلى القوات النبطية و اليهود، من مدينة كيلوبتريس حتى ليوكومي (ΛευκηΚωμη) وهي محطة تجارية بحرية في أراضي الأنباط**[66].

لقد تعثرت الحملة بعد انطلاقها حيث يفيدنا استرابون بأن ايليوس قد وصل ليوكومي بعد خمسة عشر يوما حيث خسر الكثير من سفنه ورجاله، وقد كان ذلك بسبب ظروف إبحاره السيئة، وليس لأنه خاض معركة، وقد ألقى استرابون باللائمة في تعثر الحملة من البداية على الوالي النبطي سولايوس، حيث ذكر أن سولايوس قد خدع الرومان عندما أشار أنه لا توجد طريق برية تمكن الجيش من الوصول إلى ليوكومي، بينما هناك الكثير من التجار الذين كانوا يستخدمون الإبل في قطع الطريق من ليوكومي إلى بتراء (Πετρας) وهي عاصمة النبطيين والعكس، كما اتهم سولايوس أيضاً ورغم وعوده بأنه سيكون دليلا للحملة فإنه لم يوفر أي معلومات عن الطرق البحرية ولم يؤمن للحملة أي طريق آمن، وفي المقابل عبر بالحملة عبر أراض بدون مسالك جيدة وطرقات متعرجة خالية من الغذاء[67].

ويبدو أن سولايوس وعلى الرغم هذه الاتهامات التي كالها له الرومان قد استمر كدليل للحملة، فهو وعلى الرغم أنه أحد الولاة الأنباط، فقد كان يدير شؤون المملكة العسكرية بدلا من الملك النبطي عبوداس (Ὀβόδα) أو العباد، وبالتالي استمرت ثقة ايليوس به[68].

لقد عانت الحملة الرومانية في مسيرها من التعب والجوع ولكن الذي كاد أن يهلكها هو الأمراض التي أصيب بها أفراد الحملة وهي أمراض وصفها استرابون بأنها محلية، وبوصول الحملة إلى ليوكومي كان أغلب أفراد الحملة يعاني من أمراض باطنية وآلام في الأطراف، وقد انتقلت هذه الأمراض من المياه التي مروا بها والنباتات، وقد دفع هذا الأمر ايليوس إلى قضاء الصيف والشتاء

(65) Strabo, XVI,IV,23.

(66) Strabo, Ibid.

(67) Ibid.

(68) Strabo, XVI,IV,24.

في ليوكومي حتى يشفى المرض[69].

وبعد توقف دام أكثر من ستة أشهر انطلق ايليوس من جديد وعبر أراضي صعبة حتى أنه اضطر إلى نقل المياه بواسطة الجمال، وتزود أيضاً بالحبوب والتمور والزبدة بدلا من الزيت وقد استغرق منه الأمر ثلاثين يوما ليصل إلى أول أرض وهي أراضي ملك يدعى اريتاس (Αρετας) تسميها بعض المراجع ارياط، وقد استقبله ملكها بترحاب وقدم له الهدايا، ثم انطلق عقب ذلك في محطته الثانية صوب أراضٍ للبدو الرعاة وهي في أغلبها صحراء وكانت تدعى اراراني (Αραρηνη) وكان ملكها يدعى سابوس (Σαβως) [70].

ويبدو أن ايليوس مازال يشق الطرق التي كان يدلهم عليها سولايوس وأدلائه حيث انطلق من أرض الملك سابوس وأمضى خمسين يوما ليصل إلى مدينة النيجريين (Νεγρανων) أو نجران وهي مدينة يقول عنها استرابون أنها آمنة وغنية، وقد هرب ملكها، أما المدينة فقد احتلها ايليوس، ثم انطلق منه وبعد مسير اشتبك في معركة ضد سكان محليين قرب نهر ويخبرنا استرابون أنه قد انتصر عليهم بسهولة وأنه قتل منهم عشرة آلاف رجل في حين لم يخسر سوى اثنان، وهذه مبالغة لا يقبلها عقل آدمي، وبناء على ما ذكره استرابون فقد تقدمت الحملة باتجاه اليمن حيث احتلت مدينة آسكا (Ασκα)التي فر ملكها، ثم آثرولة (Αθρουλα) وقد احتلها بدون أي مقاومة تذكر، ومنها جهز جيشه بتموين وانطلق باتجاه مدينة ماريابا (Μαριαβα)وقد كان يحكمها ملك يدعى إيلاساروس (Ιλασαρος) وقد حاصرها لمدة ستة أيام ثم اضطر بسبب نقص المياه إلى فك الحصار عنها[71].

ويثير انسحاب ايليوس جاليوس من حصار مأرب وتراجعه عنها باتجاه طريق العودة على الرغم أنه لم يبق له للوصول إلى أرض البخور حسب ما ذكره استرابون إلا مسيرة يومين، ومن خلال الوصف الذي أمدنا به استرابون يبدو أن ايليوس قد اتخذ طريق آخر غير الطريق الذي سلكه بحيث استغرقت رحلة الرجوع خلال ستين يوما في حين استغرق زحفه باتجاه اليمن ستة أشهر [72].

---

(69) Ibid.

(70) Ibid.

(71) Strabo, XVI,IV,24;

قارن أيضاً ما ذكره بليني (Natural History ,VI,32,7), والذي أشار إلى أن حملة جاليوس قد دمرت مدن لم يذكر أسماؤها الكتاب السابقين في أشارة منه لاسترابون ومن سبقه من الكتاب، وهذه المدن هي نيجرانا= =Negrana، ونيستيوم Nestum، ونيسكا Nesca، وماسوجوم Masugum، وكاميناكوم Caminacum، ولابيسا Labecia، وللأسف لم يوضح لنا مواقع هذه المدن .

(72) Strabo, XVI,IV,24.

ثانيا: الحملة الرومانية على الجرميون " الأسباب والأحداث والنتائج.

1- الأسباب السياسية:

أ- **سياسة الاحتلال وفرض الهيمنة الرومانية:** تعد سياسة الاحتلال وفرض الهيمنة الرومانية من أولى أسباب الصراع بينهم وبين الجرميون خاصة والقبائل الليبية عامة، لقد كان الرومان يعتبرون أنه وبحق الاحتلال يحق لهم استعباد وإخضاع ما عداهم من الشعوب، وقد تلقت القبائل الليبية عامة أسوأ معاملة خاصة الرافضة للاحتلال الروماني، ووفقا للقانون الروماني صنفت القبائل في خانة الغرباء أو الأجانب (pérégrins déditices) وهم بنظر الرومان الرعايا الخاضعين والمهزومين بقوة السلاح[73].

لقد جرد الرومان القبائل الليبية من أراضيها الخصبة، ثم ما لبث الرومان أن زحفوا على أراضي الرعي، وهي أراضي حيوية بالنسبة للقبائل خاصة البدو الرحل التي كانت قطعانها تتعايش على هذه الأراضي، لينتهي بها وقد تم دفعها إلى أطراف الصحراء أو إلى أراضي جرداء غير صالحة للزراعة خارج خط الدفاع الروماني الليمس (Limes)، ولم يكن أمام القبائل الليبية من سبيل سوى المقاومة الشديدة للاحتلال والرومنة، حيث اندلعت ثورات هزت الوجود الروماني في الشمال الإفريقي، خاصة في الولاية البروقنصلية وولاية كيرينايكي وكريت، وكان على روما الدفع بقناصلها لإخمادها[74].

ب- كثيراً ما جسدت النظرة الرومانية في المصادر قدرا كبيرا من التحامل على الجرميون ووصفتهم بأوصاف منها شرسون همجيون[75] يغيرون على غيرهم، يطمرون آبار الصحراء[76]، كما يتجنبون الحديث عن موطنهم[77]؛ كما يصفوهم بكونهم يعيشون في مشاعية جنسية فلا يعرفون مبدأ الزواج، و يسيرون عراة[78]، ويقول ديفيد ما تنجلي (D J. Mattingly.) أن ما كشفت عنه الحفائر الأثرية يؤكد مدى التحامل الشديد الذي طال الجرميون من قبل الرومان[79].

وتعود جذور العداء الروماني للجرميون، إلى فترة الصراع الروماني القرطاجي، فقد كان

---

(73) عمر ممدوح مصطفي، القانون الروماني، دار المعارف، مصر، 1959، الطبعة الثالثة، ص175.

(74) P. Romanelli, la Cirenaica Romana,96 a.C.-642 d. Verbania,A.Airoldi, 1943,pp,73;130;159.

(75) Pompius mela,I,25.

(76) Pliny, V, 5, 38.

(77) Strabo ,II,5.

(78) Pompius mela,I,8.

(79) ديفيد ما تنجلي، "البحث عن الجرمنتيين حضارة مفقودة في الصحاري الليبية " محاضرة ألقيت بمقر السفير البريطاني، طرابلس، بتاريخ 24-فبراير 2000، ص ص 2-3، غير منشورة .

الجرميون حلفاء تقليديين للقرطاجيين، ارتبطوا معهم بعلاقات سياسية وتجارية، كما دعمتها في حروبها ضد الرومان، وفي هذا الصدد أورد بوليبيوس الجرمنيين ضمن تشكيلة القبائل التي دعمت قرطاجة في الحرب البونية الثانية' وهو أمر أكده أيضاً الشاعر الإيطالي سيليوس اتاليكوس(80)، وقد تميزت العلاقات الجرمية القرطاجية بخصوصية كشفت عنها الأحداث التاريخية، وهي أنه على الرغم من توسع قرطاجة شرقا وغربا لم يردنا أي شيء بخصوص إخضاعها للجرميون بقوة السلاح، مما يؤكد أنها ارتبطت معهم بعلاقات طيبة بحيث تركت مقاليد التجارة الصحراوية بأيديهم، ولم تفكر في مد نفوذها عليها، وقد أشار اثيناوس أن أحد التجار القرطاجيين وكان يدعى ماجو قد سافر برفقة قافلة تجارية جرمية(81)، كما اكتفت بلعب دور الوسيط التجاري، حيث كان الجرميون الموردين للبضائع الصحراوية إلى منطقة المدن الثلاثة وإلى قرطاجة (82)، كما لعبوا دور الوسيط التجاري، حيث كانوا الموردين للبضائع الصحراوية إلى منطقة المدن الثلاثة وإلى قرطاجة، والتي كانت تنقل هذه البضائع إلى أنحاء العالم القديم حتى أن بعض هذه البضائع أصبح يحمل اسم القرطاجي، ومثال على ذلك أحجار الجرميون الكريمة والمسماة الكاربونيكل(83).

ج- **سياسة الجرميون الدفاعية:** عقب تدمير قرطاجة عام 146 ق م، أدرك الجرميون أن الصدام مع الرومان أت لامحالة، ويبدو أن خوفهم من الرومان وخشيتهم على تجارتهم الصحراوية، كان بارزا حتى أن استرابون قد أشار إلى ذلك بقوله: "**إن الجرميون من القلائل الذين يأتون إلى منطقة المدن الثلاثة كانوا يتجنبون الحديث عن موطنهم**"(84)، كذلك أشار بليني أيضاً إلى "**أن الجرميون اعتادوا دفن الآبار بالرمال أثناء تراجعهم إلى موطنهم**"(85)، وتشير الأحداث التاريخية إلى أن الجرميون كانوا مدركين للخطر الروماني وما يمثله على تجارتهم الصحراوية عماد اقتصادهم، وأن الصدام مع الرومان كان مسألة وقت، لهذا انتهجوا سياسية دفاعية تمثلت في عقد تحالفات مع القبائل الليبية ودعمها، ومن أمثلة هذه التحالفات ما تم مع قبائل الجيتولي التي أعلنت الثورة ضد الرومان"(86) كذلك تحالف الجرميون مع ثورة تكفاريناس

(80) Polybius, The Histories, I,19,2-4.; Sillius Italicus, Ponica, IX,275-279.

(81) Athenaeus The Deiponosophists. II,22.

(82) فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين عزو، الأهالي للطباعة، دمشق، الطبعة الأولى، 1996،ص ص 122-133.

(83) إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2009، ص ص .270-274.

(84) Strabo,II,5.

(85) Pliny,V,5,38.

(86) أحمد انديشة، التاريخ السياسي للمدن الثلاثة، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة، الطبعة الأولي، 1993،

التي أعلنت الثورة ضد الرومان[87]، وكيف ساهم هذا التحالف في استمرار الثورة لسنوات طويلة أرهقت الرومان، وعجز أربعة من قناصلها عن إخمادها[88].

2- الأسباب الاقتصادية:

أ- الأطماع الرومانية في السيطرة على منابع التجارة الصحراوية:

كان الجرميون ومنذ القرن الخامس ق م سادة التجارة الصحراوية والتي قامت ما بين مناطق أواسط إفريقيا والسواحل الشمالية لليبيا، حيث لعبوا دور الوسيط التجاري في نقل كل المنتجات الصحراوية أو الساحلية محققين بذلك ثراء وغنى عكسته المخلفات الأثرية التي كشف عنها في مقابرهم[89] وقد كانت سيطرة الجرميون على تجارة أهم السلع الصحراوية المطلوبة في العالم القديم آنذاك السبب في أن يسعى الرومان بكل جهد للحصول عليها وقد تمثلت في الآتي:

1- **العبيد:** عرف الجرميون Γαράμαντες تجارة العبيد ومارسوها منذ وقت مبكر من تاريخهم[90]، وفي القرن الخامس ق.م أفادنا المؤرخ الإغريقي هيرودتوتس بأن "**الجرميون وهم قوم كثيرو العدد اعتادوا مطاردة سكان الكهوف الترجولديت (Τρωγλοδύται الأثيوبيين (Αἰθιοπία) بعربات تجرها أربعة خيول، وذلك لأن سكان الكهوف كانوا أسرع في الجري من جميع البشر الذين سمعنا حولهم روايات**"[91] .

ونتبين من نص هيرودوتوس أن حملات المطاردة التي كان يشنها الجرميون، كانت منتظمة وذلك لأجل جلب العبيد، الذين كان يتم استخدامهم في البيوت والمزارع[92]، ثم يباع الجزء الأكبر منهم في الأسواق الخارجية [93]، وفي السياق نفسه دعمت الرسوم الصخرية ما سبق وذكره هيرودوتوس، حيث جسدت مناظر العربات المسرجة إلى خيول في تين تازرافت وأم اتوامي بجبال تاسيلي، وهي تطارد أشخاص، كما أظهرت أيضاً مشاهد قتالية[94].

ص71-72.

(87) Tacitus, Annuals,IV,23.

(88) انديشة، المرجع السابق ص 77.

(89) R. C. . Low, "The Garamantes and trand Saharan",p181-200

(90) John Wright,The Trans Saharan slave Trade ,Routledge first published, New York,2007,p54.

(91) Herodutos,IV,183.

(92) محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراتي للطباعة والنشر،طرابلس، ب ت، ص157.

(93) J. R. Willis, Slaves Slavery in Muslim Africa, FrankCass Company,London, 2005,p54.

(94) عماد غانم، الصحراء الكبرى، ص ص 148، 162.

لقد أوردت المصادر ذكر قبيلة كانت مجاورة للجرميون وتدعى الجمفزانتيس (Gamphasantas) حيث وصفت أفرادها بأنهم كانوا "يبتعدون عن كل البشر، ولا يملكون سلاحا حربيا ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم"[95] وهذا الوصف جعل بعض الباحثين يفترضون وقوع هذه القبيلة تحت سيطرة قبائل الجرميون القوية بحيث تم استعبادهم، وقد اعتمد في التدليل على هذا الرأي، ما كشفت عنه المقابر الجرمية، التي أكدت على أنه كان يعيش في مواطن الجرميين أربع سلالات بشرية، اثنان منها تنتمي لجنس البحر المتوسط أي بيضاء وأخرى سوداء ورابعة خلاسية، أي مزيج بين السلالة البيضاء والسوداء[96].

شكلت الحروب مصدرا آخر للعبيد، وكثيرا ما عثرنا على مشاهد قتالية مجسدة في الرسوم الصخرية تعود إلى الجرميين[97]، كما أكدت المصادر الأدبية على دخولهم في حروب عدة[98]، سواء بشكل مباشر مثل صدامهم مع الرومان أو بدعم غير مباشر لحلفائهم مثلما حدث في ثورة تكفاريناس وثورات قبائل الجيتولي، وتعتبر التجارة مع أواسط إفريقيا وغيرها من المناطق، المصدر الرئيسي لتجارة الجرميون في العبيد، وفي هذا الصدد يؤكد الباحثون على أنه ومقابل منتجات البحر المتوسط، كان الجرميون يتحصلون على العبيد والذهب والجلود، وغير ذلك من المنتجات الأفريقية[99].

لقد طغت شهرة الجرميون كسادة للتجارة الصحراوية خاصة في العبيد، حتى إن صفة العبد أو مصطلح نيجرو (Nigri) أي عبد قد ألصقت بهم، فنجد أن بطليموس الجغرافي يقع في خلط بخصوصهم فيقول إنهم شديدو السواد ثم يقول هم قليلو السواد[100]، على الرغم من تأكيد الأبحاث الأثرية على أن الجرميون لم يكونوا سود البشرة، ويعتبر ديزانج (G. Desanges) أنه لمن قبيل التحامل الواضح اعتبار الهياكل العظمية شبه الزنجية التي وجدت في المقابر الجرمية هي هياكل

(95) Herodotus,IV,174.

(96) C. Daniels,The Garamantes of southern Libya,the oleander press,1969,p17;
محمد سليمان ايوب، المرجع السابق، ص ص 155-159؛ رجب الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة بنغازي، الطبعة الثالثة، 1998، ص ص 213-214.

(97) غانم ، مرجع سابق، ص 162.

(98) Erich S. Gruen, "The Expansion of the Empire under Augustus" in The Cambridge Ancient History, Volume X: The Augustan Empire, 43 BC – AD 69, (Cambridge University Press),p168.

(99) D. Mattingly, Tripolitania, Routledge, 2003,p375; - R. C. C. Low, The Garamantes and trand Saharan ,J. H ,VIII,1967,pp. 181-200.

(100) Ptolemy, Geography,I,9,7;I,8,5.

عبيد[101].

2- الحيوانات:

تأتي الحيوانات في المرتبة الثانية بقائمة الصادرات الجرمية، وهي تنقسم بطبيعتها إلى قسمين: الحيوانات المدجنة والحيوانات البرية المتوحشة، وبالنظر إلى النوع الأول من الحيوانات نجد أن الخيول تأتي في قائمة الحيوانات التي قام الجرميون بتربيتها والمتاجرة بها[102]، وبناء على ما أورده هيرودوتوس، فقد اعتاد أفراد قبيلة الجرميون مطاردة سكان الكهوف الترجولديت بعربات تجرها الخيول[103]، من جهة أخرى يبدو أن حرص الجرميون على تربية الخيول كان كبيرا، حيث أفادنا الجغرافي استرابون" **بأن الملوك الجرميون كانوا يمارسون تربية الخيول بشغف واهتمام كبير، حتى إن عدد الأمهار قد يصل إلى مائة ألف مهر سنويا**"[104].

وتأتي الثيران في المرتبة الثانية بعد الخيول، وقد حدثنا هيرودوتوس عن ثيران الجرميون "التي كانت ترعى وهي متراجعة إلى الخلف **حيث يعلل ذلك بقوله: " للسبب التالي حيث أن لها قروناً منحنية إلى الأمام فهي ترعى وهي تسير إلى الوراء، إذ لا يمكن أن تسير للأمام لأن قرونها عندئذ ستنغرز في الأرض**" وبخلاف ذلك يشير هيرودوتوس بأنها "**لا تختلف عن باقي الثيران سواء في سمك جلودها أو ملمسها**"[105]، ولقد ظل صدى شهرة هذه الثيران يتردد من القرن الخامس قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي في المصادر[106]، لذا لا نستبعد إتجار الجرميون بها، ووجودها ضمن قائمة صادراتهم التجارية .

3- الحيوانات البرية:

دللت المصادر القديمة على مدى غنى ليبيا بحيواناتها البرية، ومنذ عصور ما قبل التاريخ أظهرت الرسوم الصخرية مشاهد الحيوانات المختلفة، وأساليب صيدها[107]، كما أكدت صلاية الأسد والعقبان، وصلاية صيد الأسود على مدى براعة الليبيين في الصيد، حتى إنه في عهد الأسرات المصرية، كان الملوك يفرضون عليهم الجزية من خلال ما كانوا يصطادونه وفي هذا الصدد أشارت المراجع إلى أن الملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشر قد فرضت على قبيلة

(101) جيان ديزانج: "البربر الأصليون" تاريخ أفريقيا العام، تحرير جمال مختار، اليونسكو، 1999،ص438.

(102) Herodotus,IV,170-171,180.

(103) Herodotus,IV,183

(104) Strabo,XVII,3,21

(105) Herodotus,IV,183.

(106) Mela,I,45; Pliny,VIII,70,1.

(107) فابريتشيو موري، تادرارات أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعباري، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس 1988، ص 179.

التمحو جزية تمثلت في سبعمائة سن فيل وعدداً كبيراً من جلود الفهود[108].

لقد أشارت المصادر الكلاسيكية إلى مدى غنى ليبيا بالحيوانات البرية حيث ذكر أرسطو طاليس(Ἀριστοτέλης) في كتابة الحيوان أن "**الحيوانات المتوحشة أكثر توحشا وجسارة في أسيا منها في أوروبا، ولكن في ليبيا تبدي الأشكال الحيوانية غنى وتنوع أشد**" [109].

كشفت الرسوم الصخرية في الجنوب الليبي عن مشاهد لطيور النعام، والتي كانت منتشرة بدرجة كبيرة في ليبيا، وقد أكد مشهد في جبال العوينات ويعود إلى الدور الرعوي القديم، بأنه جرت محاولات لتدجينه وذلك لأجل ريشه وبيضه، فضلاً عن جلده ولحمه[110]، وبناءاً على ما ذكره لوكيان (Lucian) فإن الجرميين كانوا يصطادون طيور النعام في الجهات الجنوبية منهم، وقد عثر في المقابر الجرمية على عقود صنعت من حبات بيض النعام[111].

ويتوافق العديد من الباحثين على أن الجرميين اعتادوا مبادلة سلعهم التجارية – سواء المحلية أو سلع منطقة البحر المتوسط– مع سلع مناطق أواسط إفريقيا، والمتمثلة في الذهب والأحجار الكريمة والجلود وربما الملح والتوابل[112]، كما استجلبوا الحيوانات المفترسة غير الموجودة بموطنهم[113]، وفي هذا الصدد أكد أيليان (Aelian)على قيام الجرميون بحملات صيد للفيلة في المناطق الجنوبية منهم، وقد وصف أيليان عمليات الصيد بقوله: "**إنهم كانوا يطاردون الفيلة حتى تسقط في الحفر المعدة لاصطيادها**"، **كما أشار "أن هذه المطاردة قد تستمر يومين حتى تسقط الفرائس من الإعياء**"[114].

لقد ورد الجرميون الحيوانات البرية ومن بينها الفيلة إلى المدن الثلاثة، ومنها تم تصديرها إلى روما[115] ومن المرجح أنه كانت هناك فرق مختصة من الجرميون، في التعامل مع هذه

---

(108) Oric Bates, The Eastern Libyans, Cornell University Library, London,1914,pp, 93;99.

(109) Aristotle , Generation of animals, VIII,28.

(110) فابريتشيو موري، تادرارات اكاكوس، ص ص 174-179.

(111) Lucian, ,Dipsades ,2 ; M. S . Ayoub, Excvation at germa the capital of the Garamants, july,1962,p p 18-19

(112) D. J. Mattingly and athers, Trade in the ancientSahara andbeyond, Cambridge university press, 2017pp, 125-126.

(113) أشار بطليموس الجغرافي إلى حملة قام بها شخص يدعى جوليوس ماتيرنوس إلى المنطقة الجنوبية من= =الأراضي الجرمية، وقد عاد جوليوس ماتيرنوس ومعه العديد من الحيوانات البرية التي قام باستعراضها في روما، وقد أثار حيوان وحيد القرن الاستغراب راجع: (Ptolémée ,I, 8, 4).

(114) Aelian, on the characteristics of animals, VI,65XIV,5-6; VI,56;

(115) أحمد انديشة ، المرجع السابق ص ص 175-177.

الحيوانات حية، ويكشف نقش ولوحة فسيفساء في ميدان الشركات Square of the Corporations في ميناء أوستيا القديم Ostia Antica أن مدينة صبراتة كانت مختصة في تجارة الفيلة، حتى أنها اتخذت من الفيل شعارًا لتجارتها مع روما، كما لقد وصلنا نقش من لبدة الكبرى يفيد بتقديم شخص يدعى هونورس بورفيروس (Honours porfyrius)لثلاثة أفيال حية إلى المدينة، وقد رجح رستوفتزف أن هذا الشخص كان موردا للحيوانات المفترسة من خلال الجرميون [116].

4- الذهب والأحجار الكريمة:

تاجر الجرميون مع أواسط إفريقيا، وقد كانت خطوط التجارة تتفرع في المنطقة خلف الصحراء الكبرى فتتجه إلى السودان وإلى تشاد والنيجر، ومقابل كل منتجات البحر المتوسط المتمثلة في الزيت والنبيذ والزجاج والقمح والذرة والتمور تحصل الجرميون على المعادن وعلى رأسها الذهب والعاج والجلود[117].

وتكشف المصادر الكلاسيكية لنا عن معرفة الجرميون للأحجار الكريمة، حيث أورد الجغرافي استربوان أنه "**ومن خلال الجرميون يجلب القرطاجيون الأحجار الكريمة**" [118]، أما بليني فقد ذكر: "**تحتل المرتبة الأولى من بين هذه الأحجار الكاربونيكل وهو اسم بسبب مظهرها الناري على الرغم من أنها لا تتأثر بالنار وبالتالي تعرف باسم (Acaustoe) أي غير القابلة للاحتراق، وهناك نوعان من الكاربونيكل الهندي والجرمنتي وكان الأخير يدعى بالقرطاجي – كما أسموه الإغريق –لأنه ارتبط بثروة قرطاجة العظمي**"[119]، وعن مناطق استخراجه ذكر استرابون أن مصدره بلاد الجرميون في حين حدد بليني موطنه في إثيوبيا، وأنه كان يتم جلبه عن طريق سكان الكهوف الأثيوبيين، ثم يحدد بليني في فقرة أخرى مكان استخراجه بجبل غيري أو جيري[120]، وقد كان لهذا لحجر الجرميون الشهرة الواسعة كونه ارتبط باسم قرطاجة التي نقلته ضمن سلعها التجارية إلى كل أنحاء العالم القديم وأخذ بالتالي اسمها أي الحجر القرطاجي[121]، وإلى جانب ما سبق كان الملح، والنظرون، والشب، والقمح، والذرة، والقطن، والتمور من ضمن قائمة أهم السلع

(116) Rostovtzeff's ,Social and Economic History of the Hellenistic World, The clarendon press,1966,p324.

(117) D J.Mattingly ,op . cit ,p375.

(118) Strabo,XVII,3,19; Pliny,XXXVIII,25,1; pliny,V,5,34; R. C. Law, op. cit,p,187.

(119)

(120)

(121)

التي تاجر فيها الجرميون[122].

5- الضرائب الرومانية:

تعد الضرائب الرومانية على القبائل ومحاولة تحصيلها قسرا من أولى الأسباب التي أدت إلى اندلاع الثورات الكبرى من قبل القبائل الليبية، وقد شمل ذلك الجرميون، ومن المعروف أن الرومان لم يتركوا أي شيء إلا ووضعوا عليه ضرائب في كل الأقاليم التي احتلوها، ولم تكن التجارة بمعزل من ذلك، وبناء على ما ذكرته المراجع فقد فرضت ضرائب على بيع العبيد قدرت 5%، وكان هناك ضريبة مضاعفة في حالة بيع العبيد في روما، كذلك كان هناك ضريبة على بيع الملح، والجلود، والحيوانات[123] والمفارقة أن كل ما سبق كان على راس قائمة الصادرات عند الجرميون .

ثالثاً- الصدام العسكري بين الجرميون والرومان:

اندلع الصراع العسكري بين الجرميون والرومان وبشكل مباشر في بداية عصر أغسطس وذلك عام 27 ق .م وذلك عقب سلسة من الإجراءات التنظيمية التي اتخذها هذا الأخير حيال الولايات الإفريقية، حيث قام بدمج ولايتي إفريقيا القديمة والجديدة في ولاية واحدة أطلق عليها أسم الولاية البروقنصلية ليضاف إليها لاحقا أي عام 25 ق.م نوميديا، وقد أصبح المجال الترابي للولاية البروقنصلية يمتد من الوادي الكبير الذي يفصل بين نوميديا ومملكة موريتانيا، وحتى مشارف السرتيس الكبير، وقد أسند إدارتها إلى مجلس الشيوخ لتدار بواسطة قنصل كان مقر أقامته في مدينة قرطاجة، كما أسند إلى الفيلق الأوغسطي الثالث والذي كان تحت إمرة القنصل السناتوري مهمة حماية هذه الولاية المترامية الأطراف والدفاع عن حدودها الجنوبية، التي كانت تتعرض لهجمات القبائل المحلية التي تم الاستيلاء على أراضيها ودفعها إلى حدود الصحراء[124].

وترجح الآراء بأن قيام أغسطس بدمج هذه الولايات في ولاية واحدة كان يهدف إلى تنسيق العمليات العسكرية ضد القبائل الثائرة والواقعة للداخل، والتي كانت تشن هجومها على حدود هذه الولاية وقد تمثلت هذه القبائل في الجيتولي والجرميون والمارماريداي[125].

---

(122)

(123) ول ديورانت، قصة الحضارة، (ت) محمد بدران، المجلد الثاني، دار الجيل، بيروت – لبنان،1988 ، ص ص242-243 ؛ كرستينا فيلبس غرانت، بادية الشام، (ت) خالد أحمد عيسى، دار رسلان للطباعة، سوريا، 2011، ص 54 .

(124) M. Rachet, Rome et les Berberes,latomus,bruxelles,1970,p78 ;
عمار المحجوبي، ولاية أفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (146ق.م-235م)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001، ص 92-93.

(125) أحمد انديشة، المرجع السابق، ص ص63-65.

1- مسار الحملة الرومانية على الجرميون عام 19ق.م:

أورد المؤرخ الروماني بليني الأكبر خبر أول حملة عسكرية وجهها الرومان ضد الجرميون، وذلك في الربع الأخير من القرن الأول حوالي عام 19 ق م، وبناء على ما أورده بليني فقد استهدفت الحملة والتي انطلقت من المدن الثلاثة – ربما من مدينة لبتس ماجنا – صوب معقل الجرميون في الصحراء ووصولا إلى عاصمتهم جرمة Garama[126].

ولعل ما يثير التساؤل بخصوص هذه الحملة عدم ذكر الجغرافي استرابون لها رغم معاصرته لهذا الحدث، وهو الذي تحدث عن حملة جاليوس ايليوس على بلاد اليمن[127]، وعلى الرغم من أن بليني لم يذكر الأسباب التي دفعت الرومان إلى إرسال هذه الحملة، فإن تحديد ذلك ليس صعبا، فسياسة الاحتلال ومصادرة الأراضي ودفع العديد من القبائل إلى المناطق شبه الصحراوية ومحاولة توطين أشباه الرحل بالقوة في مواطن محددة وتقييد حركتها، جلب النقمة الشديدة على الرومان ودفع بهذه القبائل إلى التحالف فيما بينها وبين الجرميون، كما أن دعم الجرميون لثورة قبائل الجيتولي، كان أحد الأسباب التي دفعت بالرومان عقب القضاء على ثورة الجيتولي بالتحرك لمعاقبة الجرميين .

لقد سعى الرومان ومن خلال حملة بالبوس إلى تحقيق أهداف منها تأديب القبائل الجرمية، وكسر شوكتهم بعد أن أصبحوا قوة لا يستهان بها ومحاولة السيطرة على منابع التجارة الصحراوية وكسر احتكار الجرميون لهذه التجارة، ويرى المؤرخ باند D. Band في كتابة الولاية أن الفيلق الأوغسطي والذي كان مكلف بحماية الولاية البروقنصلية قد تم تقسيمه إلى قسمين: جزء تحت قيادة سمبرونيوس اترانتينوس L. Sempronius. Atratinus والذي تم توجيهه للقضاء على ثورة الجيتولي وجزء آخر تم توجيهه لتأديب الجرميون بقيادة بالبوس[128].

وعلى الرغم من أن بليني لم يذكر نقطة انطلاق الحملة فإن هناك ترجيحات بكونها قد انطلقت من صبراتة إلى كيدامس ثم اتجهت صوب موطن الجرميون، وقد أمدنا بليني في هذا الصدد بما لا يقل عن ثلاثين مدينة وقرية وقبيلة وصولاً إلى عاصمتهم جرمة، ومن المدن ذكر فزانيا (Phazania)، واليلن (Alelen)، وكليبا (Cillibam)، وكيدامس (Cidamum)، كما أورد أيضاً أسماء قبائل مثل نيتريس(Niteris)، وفيبابو (Bubeium) قبيلة انيبي (Enipi) وتاميجاي (Tamiagi)، وأشار أيضا إلى عاصمتهم جارما (Garama)[129].

ويرجح د. ماتنغلي أن الحملة قد استغرقت خمسة وأربعون يوما وأنها قد حققت نتائجها

(126) Pliny, V, 36-38.

(127) Idem.

(128) D. Band, principat ,New York ,1975 ,p162.

(129) Pliny,V,36-38.

المطلوبة[130]، في حين يري انديشة أنها كانت محدودة النتائج[131] ولكن يعطي الوصف الوارد عند بليني وكأنها حملة استكشافية عن كونها حملة تأديبية[132]، ولعل عدم ذكر استرابون لهذه الحملة ربما يؤيد هذا الرأي، كما أن لدينا حالة مشابهة لهذه الحملة أوردها بليني نفسه وهي حملة سوتنيوس باولينوس على منطقة جبال الأطلس والتي رغم إعطائها صفة حملة عسكرية فقد كان ما أورده بليني حولها يرجح كونها حملة استكشافية[133].

رابعاً: التحليل والمقارنة بين الحملتين:

لقد تبين لنا ومن خلال مقارنة نصي الحملتين حملة ايليوس جالوس على اليمن عام 26-24ق.م وحملة كورنيليوس بالبوس على الجرميين عام 19 ق.م ما يلي:

1- لقد كان هدف الرومان - بالدرجة الأولي- من إرسال حملة عسكرية إلى اليمن السيطرة الاقتصادية على أكبر مصدر لتجارة البخور والعطور والذهب والفضة، بمعنى كان الهدف الأساسي اقتصادياً، وهذا صرح به أسترابون نفسه في كتابه[134]، ولكن كان هدف الرومان من إرسال حملة على بلاد الجرميين وفي عمق الصحراء الليبية هدف مزدوج عسكري واقتصادي، عسكريا يهدف لكسر شوكة قبائل الجرميون المارقة - حسب وجهة نظر الرومان - والذين كانوا من أكبر المقاومين والداعمين لكل من يخرج ويثور على الرومان، ابتداء من قرطاجة إلى يوغرطة ثم تكفاريناس لاحقاً[135]، بدليل إرسالهم لجزء من الفيلق الأوغسطي الثالث بقيادة كورنيليوس بالبوس[136]، واقتصاديا يهدف للسيطرة على التجارة الصحراوية والتي كانت مقاليد أمورها في يد الجرميين، وقد كانت تجارة الحيوانات البرية والملح والذهب والعقيق تدر أرباحاً كبيرة عليهم .

2- لقد كان لكتابات الرحالة والجغرافيين الإغريق والرومان دورا في إعطاء صورة مبالغة عن حجم الثروات والرخاء الاقتصادي والذي كانت تنعم به القبائل اليمنية القديمة والجرمية[137]، من خلال سيطرة الأولى على خطوط التجارة الشرقية والثانية على خط التجارة الصحراوي، ونظرا

(130) د. ج. ما تينغلي، مرجع سابق، ص ص 194-195.

(131) أحمد انديشة، المرجع السابق، ص70.

(132) Pliny,V,36-38.

(133) Pliny,V,14.

(134) Strabo, Geography, XVI, 4, 22.

(135) Tacitus, Annuals, IV, 23; IV, 50; Erich S. Gruen, "The Expansion of the Empire under Augustus" in The Cambridge Ancient History, Vol. X: The Augustan Empire, 43 BC-69 AD, (Cambridge University Press, 1996), p. 168.

(136) Pliny: Natural History, V. 36-38.

(137) Herodotus, III, 107-113; Strabo, XVI, 4, 1-25; Diodorus, I, 50-51; II, 46-47.

إلى اتصاف الرومان بالجشع وحب السيطرة وتصنيفه للشعوب التي تخالفه في الجنس والمعتقد بأقل منه في درجات السلم الحضاري بكلمة البرابرة إي الأجانب[138]، تطلع الرومان إلى الحصول على هذه الثروات التي كانت تتنعم بها هذه الشعوب ولو كان ذلك بالقوة العسكرية.

3- كثيرا ما احتوت المعلومات التي أوردتها المصادر الكلاسيكية عن ممالك اليمن القديمة على قدر كبير من الخرافة والأساطير التي قد لا يصدقها عقل؛ ففي هذه الأساطير خفافيش وأفاعي مجنحة وطيور كبيرة تهاجم البشر، ولا شك بأن السكان المحليين من كان يرددها، وكان هدفها إبعاد أي أطماع خارجية في مواطنهم، وقد نقلت عن طريق التجار الفينيقيين والإغريق[139]، وقد كان الجرميون أيضاً يتحاشون الحديث عن موطنهم عندما كانوا يأتون إلى المدن الثلاثة، كما كانوا يطمرون آبار المياه في طريق عودتهم إلى موطنهم في الداخل[140]، وهي آبار لا يعرف مواقعها إلا هم، ولا ننسى أيضاً كل ما كان يُروى عنهم عن كونهم ينحدرون من نسل الإله جوبيتر، وثيرانهم التي ترعى إلى الخلف إلى آخر ذلك من تلك الروايات التي كان الهدف منها إبعاد أي أطماع خارجية في موطنهم[141].

من المرجح أن يكون لتطلعات القادة وحكام الأقاليم إلى الشهرة السياسية وتحقيق الانتصارات العسكرية، -أسوة بما ناله قادة سابقين مثل سكيبيو الأفريقي P. C. Scipio Africanus لهزيمته قرطاجة، والقائد الذي أطلق عليه لقب "جيتوليكوس" أو قاهر الجيتولي[142] دورا بارزا في تشجيع أغسطس على القيام بهذه الحملات، وفي هذا الصدد نجد أن ايليوس جاليوس قد تولى منصب بروقنصل على مصر خلفا للبروقنصل كورنيليوس جاليوس والذي كان قد قاد حملة على طيبة وأخضع فيها ثورة قامت ضد الوجود الروماني هناك ولكنه ارتكب خطأً فادحاً عندما أقام نصباً تذكارياً لفيله تمجيدا لانتصاره، مما أدى لعزله وتعيين ايليوس جالوس والذي أراد إظهار إخلاصه لسيده أغسطس بتشجيعه على إرسال الحملة إلى بلاد اليمن[143].

كما أننا نجد أن كورنيليوس بالبوس والذي أراد ربما تغطية ماضيه السياسي المشين وأثناء ولايته على إسبانيا الدانية والتي قام بنهب سكانها، من خلال قيادة حملة ضد أشد أعداء الرومان

(138) Homer, Iliad, II, 867; Tsetskhladz, Gocha R. Ancient Greeks West and East, 1999, p. 60.

(139) Herodotus, III, 108-112; Diodorus, II, I, 50-51.

(140) Strabo, II, 5; Pliny, V, 5, 38.

(141) Agroete, FHG, Vol. II; Muller, 1841, p. 295; Herodotus, IV, 183.

(142) Polybius, The Histories, X, 15, 40-5.

(143) Diocassius, Roman History, III, 23; Suetonius, Augustus, 66; R. Syme, "The Origin of Cornelius Gallus", CO, 1983, 32 (1): 39-44.

في الجنوب الليبي وهم الجرميون[144].

لقد لعبت العديد من الأطراف الخارجية – والتي كان لها مصالح مشتركة مع الرومان– دورا بارزا في الحملتين، حيث تلقى ايليوس جاليوس دعماً مباشراً من الأنباط حيث ذكر استرابون أن الوالي النبطي سولايوس تعهد بدعم وتسهيل مسير الحملة إلى اليمن[145]، كما تلقت الحملة أيضاً دعم العديد من حلفاء الرومان في المنطقة، مثل مملكة يهوذا التي أرسلت خمسمائة مقاتلا يهودياً للمشاركة في الحملة[146].

وبالنظر إلى المسار الذي اتخذته الحملتان توصلنا إلى الآتي:

1- يؤكد نص الجغرافي استرابون على أن حملة ايليوس جاليوس قد أظهرت فشلها من البداية، وهذا دليل واضح على انعدام الخبرة السياسية والعسكرية لدى ايليوس جالوس، كما دلل انطلاق الحملة على أنه لم يكن هناك دراسة مستفيضة لمسار الحملة وجهل كامل بمنطقة البحر الأحمر والموانئ الواقعة على ضفتيه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبدو أن ايليوس جالوس قد وقع فريسة للوالي النبطي –الذي وعلى الرغم من كل وعوده –فإن الثابت من نص استرابون أنه قد نجح في التغرير به وإفشال الحملة من البداية، ومن المرجح أنه كان السبب في اختيار ايليوس جالوس للمسار والدروب التي قطعتها الحملة وهي دروب كادت أن تقضي على الحملة بالكامل فلم يكن طول المسافة التي قطعتها الحملة في مسيرها ولا نقص الإمداد فقط، بل كان هناك أيضاً الأوبئة التي كادت أن تفتك بجنود الحملة[147].

2- أما بالنسبة لحملة كورنيليوس بالبوس على الجرميين فنجد أن انطلاقها بالفرقة الأوغسطية الثالثة من إفريقيا البروقنصلية صوب المدن الثلاثة والتي من المرجح أن يكون الرومان والذين استقروا بها منذ القرن الثاني ق.م، قد قدموا له المعلومات المطلوبة في كيفية الوصول إلى موطن الجرميين حتى إن الحملة لم تنطلق من الطريق المعتاد والذي يربط مدينة لبتس ماجنا "الخمس الحالية" بجرمة، بل اتخذت طريقاً مختصراً من مدينة أويا "طرابلس الحالية"، ومنها إلى كيداموس "غدامس الحالية " ونزولا إلى موطن الجرميين جنوبا[148]، ومن المرجح أن بالبوس قد استعان بعناصر محلية أو تجار من المدن الثلاثة لكي يصل إلى بلاد الجرميين – ومن خلال طريق مختصر– ويكسب عنصر المفاجأة ويتغلب على الجرميين .

(144) Cicero, Letters to his friends, X. 32.

(145) Strabo, XVI, 4, 23.

(146) Idem.

(147) Strabo, XVI, 4, 23-24.

(148) Pliny, V. 36.

نتائج الحملتين:

1- لقد باءت كلا الحملتين بفشل ذريع تعددت أسبابه منها جهل الرومان الكامل بطبيعة المكان سواءً لليمن أو لموطن الجرميين، وهذا يدل على أن الرومان لم تكن لهم معرفة سابقة بهذه المواطن، ولعل هذا ما يثير الاستغراب فمقارنة بسلوك الروماني في التمهيد والسيطرة نجد أنهم بالنسبة لهاتين الحملتين قد انجروا وراء أطماعهم الاستعمارية دون دراسة مستفيضة ودون إرسال بعثات استخباراتية تمهد للحملتين، وهذا يعني أن قرار الحملتين قد اتخذ دون دراسة وبصورة متسرعة وكان عليهم أن يحصدوا نتائج هذا القرار.

2- إذا كان نصي الحملتين قد قدم لنا معلومات عن أسماء مدن وسكان عاشت في اليمن والجنوب الليبي، فإننا لا نجد أي شيء يثبت إخضاع أو احتلال وما يتبعه من ترك حامية رومانية، وحتى في حالة استقبال مدينة لقائد الحملة لم يرد أي نص بعقد معاهدة أو تفاهم، كما لا يمكن أن نعتبر التدمير بمثابة انتصار كما في حالة مدينة نجران، ولعل ما يجعلنا نطعن في مصداقية ما كتبه استرابون بخصوص حملة ايليوس جالوس أن حملة رومانية جرارة تعرضت سفنها للغرق وهلك العديد من جنودها وقضت الأوبئة على الكثير منهم، ثم حاربت العديد من الأقوام، ليخرج في آخر الأمر بالقول أن الحملة لم تخسر سوى سبعة من الرومان مقابل عشرة آلاف من الأعداء العرب[149]، وكذلك الحال بالنسبة لحملة كورنيليوس بالبوس والتي رغم تفاخر بليني بإخضاع الجرميين[150]، فإننا نعتبر ذلك من الأمنيات الطيبة للرومان الذين لم يحققوا أي نصر يذكر فلا وجود لذكر صدام ولا أعداد قتلى أو أسرى أو أي إشارة لغنائم أو أسلاب، ولعل ما يدعم ذلك أنه لم يأت عام 15ق.م حتى اندلعت ثورة عارمة تزعمها تحالف بين قبائل الجرميون والمارماريدي – وهي من أقوى القبائل الليبية الواقعة شرق كيريني – وقد تصدى الرومان لهذه الثورة بتكليف حاكم كيريني بوبليوس سولبيكوس كويرينوس (Publius Sulpicius Quirinius) للقضاء على هذه الثورة، وقد أشار فلوريس إلى ذلك بقوله: "لقد عهد بإخضاع المارماريداي والجرميون إلى كويرينوس الذي ربما عاد بلقب ماريماريكوس، لو لم يكن متواضعا في لقبه"[151].

3- على الرغم من أن نصي الحملتين لم يوردا أي إشارة إلى أي حركة مقاومة ضد الرومان، فإننا نستشف من خلالهما بأن السرعة التي انسحب بها القائدان بجيشهما من اليمن والجنوب الليبي كانت بسبب تنامي روح المقاومة ضد الرومان، والتي يبدو أنها قد اشتدت بدرجة أصبح مكوثهم بمثابة انتحار، لهذا نجد أن الحملتين تنسحبان بسرعة كبيرة.

(149) Strabo, XVI, 4, 23-24.

(150) Pliny, V. 36.

(151) Florus, Epitome of Roman History, IV, 12.41; Dios, Roman History, L.10.1.

وتجعلنا فقرة وردت في نص استرابون (XVI,4,24) تقول: "أنه عاد إلى الوراء عبر طرق أخرى بعد أن فهم المؤامرة" نتساءل عما إذا كان سولايوس النبطي قد تحالف مع ملوك الممالك اليمنية، وقام باستدراج الحملة الرومانية إلى عمق يسهل القضاء عليها فيه، ولعل ما نراه يدعم فريضيتنا هذه أن اتهام سولايوس بالخيانة قد ورد في نص استرابون منذ البداية، بل حتى نهاية سولايوس ستكون فيما بعد بروما وبتهم كان من بينها خديعة الرومان وايليوس جالوس.

الخاتمة:

لقد تناولنا في بحثنا هذا الأطماع الاقتصادية الرومانية من عام 24ق.م وحتى عام 19ق.م "حملة ايليوس جاليوس على اليمن عام 26- 24 ق م، وحملة كورنيليوس بالبوس على الجرميين عام 19ق.م

1- منذ نشأة روما وسيطرتها على شبة الجزيرة الإيطالية سعى الرومان إلى تحقيق رخاء اقتصادي ومادي بكل الوسائل للرومان، بغض النظر عن الشعوب الأخرى، ولعل صراع الرومان مع غيرهم من الأثنيات في شبة الجزيرة الإيطالية عقب بسط نفوذ روما عليها خير مثال على ذلك.

2- في العصر الجمهوري وعقب توسعات روما شرق وغرب البحر المتوسط تدفقت الثروات على الرومان، وقد استنزف الرومان الولايات التي ضمها إليه بحيث كان عليها الدخول في حروب ضد سكانها عقب كل تمرد يقومون به، وقد كان لكل هذه الثروات والمغانم التي حققتها الفتوحات الرومانية أثرًا سلبياً على المجتمع الروماني الذي اتسعت به الهوة ما بين طبقات الشعب، كما كان لها انعكاس أيضاً على أخلاقيات وقيم المجتمع الروماني والذي تعرض لمؤثرات خارجية ثقافية نقلت إليه من هذه الولايات.

3- في العصر الإمبراطوري استأنف أغسطس الفتوحات الرومانية وقد كانت بلاد العرب وتحديداً اليمن القديم من المناطق التي سعى الرومان لضمها نظرا للأهمية التي تمثلها كونها تتحكم بطريق تجارة البخور الشرقية، كما سعى الرومان في الوقت نفسه لمد نفوذه على العمق الليبي وتحديدا مناطق نفوذ الجرميون بحيث يسيطر على مناطق التجارة الصحراوية والتي كانت القبائل الجرمية تديرها من معقلها جرمة في وسط الصحراء .

4- لقد فشلت كلتا الحملتين حملة ايليوس جاليوس على اليمن عام 26-24 ق م، وحملة كورنيليوس بالبوس على الجرميين عام 19ق.م بسبب سوء التخطيط وجهلهم بالمكان وعدم كفاءة قادة الحملتين، بالإضافة للمقاومة الشديدة التي لقيتها من السكان سواء في اليمن أو من الجرمنيين .

قائمة المصادر والمراجع:

أولا المصادر:

1- Aelian, (1958) On The characteristics of Animals,Trans by:A. F. Scholfield, Harvard university press, (Loeb).
2- Aristotle (1943) Generation of animals, Harvard University Press, (Loeb).
3- Athenaeus,(1928) The Deipnosophists,Trans,by,Charles Burton Gulick , Harvard university press, Loeb.
4- Dios,(1914) Roman History,Cambridge, Mass.: Harvard University Press Loeb.
5- Flavius Josephus, (1966) Jewish Antiquities, Cambridge, Mass.: Harvard University Press; London, Loeb.
6- Florus.(1929) Epitome of Roman History. Cambridge,: Harvard University Press, Loeb.
7- Herodotus.(1921) The histories,Trans by,A. D. Godley, Harvard University Press, Loeb.
8- Pliny.(1963) Natural History, trans, by, W. H. S. Jones, Harvard university press, Loeb.
9- Polybius. (1966) The Histories, Loeb Classical Library, Harvard University Press, Loeb.
10- Silius Italicus.(1934) Punica, Loeb Classical Library, Harvard University Press, Loeb.
11- Strabo, (1917) Geography, Trans. By Horace Leonard Jones, Harvard University Press, Loeb .
12- Tacitus.(1937) Annals. Trans by John Jackson., Cambridge, MA: Harvard University Press . Loeb .

ثانيا: المراجع: الأجنبية:

1- C. Daniels, The Garamantes of southern Libya, the Oleander press, 1969.
2- D. Band, principat ,New York,1975.
3- Desanges, Agisymba, Encyclopédie Berbère, 2 Ad – Ağuh-n-Tahlé, Aix-en-Provence, Edisud, 1985.
4- D. J. Mattingly and at al, Trade in the ancient sahara and beyond , Cambridge university press, 2017.
5. E. L. Haynes, The Antiquites of Tripolitania, 4th Edition,1981.
6. Erich S. Gruen, "The Expansion of the Empire under Augustus" in The Cambridge Ancient History, Volume X: The Augustan Empire, 43 BC – AD 69, (Cambridge University Press).
7. John wright,(2007) The Trans Saharan slave Trade ,Routledge first published, New york,2007.
8.J.R.Willlis.(2005) slaves Salavery in muslim Africa .frank cass company.London .

9. M. Rachet, Rome et les Berberes, Latomus, Bruxelles,1970.
10. M. S .Ayoub, Excvation at Germa the capital of the Garamants, july,1962.
11. O. Bates,The Eastern Libyans, Cornell University Library, London,1914.
12. P. Romanelli, la Cirenaica Romana, 96 a. C. -642 d. Verbania, A.Airoldi, 1943.
13. R. C. C. Low, The Garamantes and Trand Saharan ,journal of history ,VIII,1967.
14. Rostovtzeff's .R , Social and Economic History of the Hellenistic World,The clarendon press,1966.

ثانيا: المراجع العربية:

1- إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،2009.

2- أحمد انديشة، التاريخ السياسي للمدن الثلاثة، الدار الجماهيرية للنشر، مصراتة، الطبعة الأولي، 1993.

3- أوراسيوس، تاريخ العالم، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، الطبعة الأولي، 1982.

4- جلين وارين بورسوك، الأنباط الولاية العربية الرومانية، ترجمة أمال الروبي، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة 2006

5- جواد على، المفصل في تاريخ العرب، جامعة بغداد، الطبعة الثانية، 1993، الجزء الثاني.

6- ديفيد ما تنجلي، "البحث عن الجرميون بين حضارة مفقودة في الصحاري الليبية، نص محاضرة ألقيت بمقر السفير البريطاني، طرابلس، في 24-فبراير 2000.

7-رمضاني، أم هاني، الموارد الطبيعية لشبه الجزيرة العربية وأهميتها، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، المجلد 2، العدد3، 2014.

8- . رستوفتزف، تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د ت، الجزء الأول.

9- سليمان بن عبد الرحمن الذيب، الحملة الرومانية على جنوب غرب الجزيرة العربية، منشورات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات، الرياض، 2015.

10- عبد الله حسن الشيبة، ترجمات يمنية، منشورات الكتاب الجامعي، صنعاء الطبعة الأولي، 2008

11- عبد العزيز صالح، تاريخ شبه الجزيرة العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1992.

12- " " ، شبه الجزيرة في المصادر القديمة، عالم الفكر، الكويت، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، 1984.

13- على سالم باذيب، النباتات الطبية في اليمن، مطبعة الإرشاد، صنعاء، الطبعة الثانية،

ب.ت.

14- عمار المحجوبي، ولاية إفريقيا من الاحتلال الروماني إلى نهاية العهد السويري (ق.م 146- م235)، مركز النشر الجامعي، تونس، 2001.

15- عمر ممدوح مصطفى، القانون الروماني، دار المعارف، مصر، 1959، الطبعة الثالثة.

16- فرانسوا ديكريه، قرطاجة أو إمبراطورية البحر، ترجمة عز الدين عزو، الأهالي للطباعة، دمشق، الطبعة الأولى،1996.

17- كرستينا فيلبس غرانت، بادية الشام، ترجمة خالد أحمد عيسى، دار رسلان للطباعة، سوريا، 2011.

18- لطفي عبد الوهاب يحي، الجزيرة العربية في المصادر الكلاسيكية، الرياض، 1979، ص 60.

19- حنان عيسى جاسم، السياسة الرومانية اتجاه جنوبي الجزيرة العربية، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، المجلد الخامس، العدد17، 2013.

20- مصطفى العبادي، الإمبراطورية الرومانية النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية، دار النهضة العربية، بيروت، ب ت.

21- منير عبد الجليل العريفي، النباتات المقدسة في الحضارة اليمنية، الاتحاد العام للأثريين العرب، الجزء التاسع، يناير، 2008

22- ول ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة محمد بدران، المجلد الثاني – الجزء الثاني، دار الجيل، بيروت – لبنان،1988 .

23- يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت الطبعة الثانية، 1990.

العلاقات **التجارية للمملكة الجرامانتية**

إعـــداد

الدكتور/ رمضان عبد الرازق مختاظ إبراهيم

أستاذ مساعد بجامعة بنغازي / كلية الآداب والعلوم المرج

الملخص

تعتبر التجارة من أهم الحرف التي مارستها الشعوب القديمة، حيث إنها أسهمت في نمو القوة الاقتصادية لمعظم دول وشعوب العالم القديم، فقد كانت مملكة الجرامنت تتمتع بموقع متميز في وسط الصحراء هيأ لها سبل الاتصال بين مناطق الجنوب والشمال حيث ارتبطت المملكة الجرامنتية بعلاقات تجارية واسعة مع أواسط أفريقيا ودول حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد كانت سلع هذه المناطق تتجمع في جرمة وتنقل إلى هذه المناطق، حيث ترتبط بعدد من الطرق مع هذه المناطق والتي تسلكها القوافل المتجهة إلي الشمال أو إلى الجنوب، أما وسيلة النقل فكانت تعتمد على الثيران والحمير ثم الخيول التي استخدمت في جر العربات التي استخدمت في نقل البضائع، كما كانت السفن وسيلة مهمة لنقل البضائع الجرامانتية عن طريق المدن الساحلية إلى مختلف دول حوض البحر الأبيض المتوسط.

الكلمات المفتاحية: الجرامنت، القوافل الصحراوية، التجارة البحرية، أواسط افريقيا، الرومان.

Summary

Trade is considered one of the most important crafts practiced by ancient peoples, as it contributed to the growth of the economic power of most countries and peoples of the ancient world. The Kingdom of Garamante enjoyed a distinguished location in the middle of the desert, which provided it with means of communication between the regions of the south and the north, as the Kingdom of Garamante was associated with extensive trade relations with the Middle East. Africa and the countries of the Mediterranean basin. The goods of these regions were gathered in Garma and transported to these regions, where they were connected by a number of roads with these regions, which were taken by caravans heading to the north or to the south. As for the means of transportation, it depended on oxen, donkeys, and then horses, which were used. In pulling the carts used to transport goods, ships were also an important means of transporting German goods through coastal cities to various countries of the Mediterranean basin.

Keywords: Garamantes, desert caravans, maritime trade, Central Africa, the Romans.

المقدمة

قامت مملكة الجرامنت في الجنوب الغربي من ليبيا، في منطقة فزان على مساحات واسعة من الرمال والسلاسل الجبلية، ويعتبر وادي الآجال الذي يقع في منتصف فزان تقريباً، من أهم الوديان والذي تقع فيه مدينة جرمة.

كانت مملكة الجرامنت ذات موقع فريد من الناحية الجغرافية، ساعدها في الهيمنة على أهم الطرق التي تسلكها القوافل التجارية المتجهة بين مدن الساحل وأواسط إفريقيا ودول حوض البحر الأبيض المتوسط ، ففيها تتكاثر الواحات مما جعلها أهم المراكز الصحراوية وأكثرها استقراراً، وكثافة سكانية، حيث مارس الجرامنت التجارة الصحراوية وأظهروا مقدرتهم كوسطاء وتجار بين الشمال والجنوب يبادلون البضائع الصحراوية وسلع أواسط إفريقيا بمنتجات الساحل والجنوب الأوربي، إذ تعد جرمة جسر العبور بين هذه المناطق، وكانت القوافل التجارية تمر عبر شبكة من الطرق تنطلق من بلاد الجرامنت في اتجاه الشمال والجنوب، وكانت تتحكم في كل الطرق التي كانت تسلكها القوافل التجارية المتجهة إلى أواسط إفريقيا وكذلك المتجهة إلى مدن السواحل ودول حوض البحر الأبيض المتوسط، وبذل الجرامنت جهوداً في إبقاء هذه الطرق مفتوحة للتجارة لفترات طويلة في تاريخ جرمة.

كانت التجارة أهم مرفق اقتصادي للمملكة الجرامنتية، فقد دفعتهم إلى أن يصبحوا مهرة في تجارة القوافل الصحراوية، فعرفوا كيف يهتدون فيها بالنجوم، كما أنهم نظموا طرق القوافل، حيث أقاموا الحصون والقلاع والأبراج ليحافظوا على سلامة القوافل والطرق التجارية والأشراف عليها، وحمايتها من الأخطار، كما حرصوا على أن تكون سيطرتهم محكمة على مداخل الصحراء، ولذلك أنشأوا غدامس على الحدود الشمالية للصحراء.

لعب الجرامنت الدور الأكبر في تمدن الشعوب الإفريقية التي تاجروا معها من خلال إدخال علوم ومعارف وصناعات العالم المتحضر إليهم، وكانت العلاقات الجرامنتية مع الشعوب الإفريقية وغيرها تتسم بالتآلف والانسجام والتعايش السلمي، وكانت في معظمها علاقات تجارية.

ويبدو أن عدم معرفة الجرامنت بالتدوين، يرجع لكونهم كانوا تجاراً ورجال قوافل، ولم يعتنوا بتسجيل تاريخهم، وخير مايمثل حضارة الجرامنت تلك الرسوم والنقوش التي خلفوها في شكل لوحات فنية على الصخور والجبال، حيث عرفت الصحراء الرسوم الصخرية، وازدهرت بشكل كبير

في العصر الحجري الحديث، فشعوب المنطقة استعملت الرسم الصخري كوسيلة للتواصل والتعبير عن أفكارهم حيث رسموا عشرات الآلاف من اللوحات التي أصبحت مصدراً خاماً للدراسات الأثرية؛ وأهم ما يميزها موضوع ركوب العربات التي تجرها الخيول والتي كانوا يستخدمونها في تنقلاتهم لعبور الصحراء واستخدامها في حمل السلع التجارية سواء من أواسط أفريقيا أو من مدن الساحل، فهو يصور الخيول والعربات وحيوانات أخرى وكذلك مرحلة النقوش التي تعرف بظهور الجمال على الرسومات والنقوش الصخرية.

ومن المعروف أن الجرامنت تاجروا بمنتجات كان لهم الفضل في إيصالها إلى الساحل، لعل أهمها الحجر القرطاجيين والحيوانات المفترسة، والأخشاب، وغيرها وتم إيصال هذه السلع عن طريق القوافل الجرامنتية من الجنوب إلى الشمال، ولذلك أسهمت هذه التجارة في ازدهار اقتصاد القوى التي سيطرت على المدن الساحلية وكذلك شعوب أواسط إفريقيا، وعن طريقها اغتنى الجرامنت كوسطاء.

لم يتوقف نشاط الجرامنت في نقل السلع من الداخل إلى المدن الساحلية والعكس خلال فترة سيطرة الفينيقيين والرومان، وربما ازداد نشاطهم التجاري بعد تحسن علاقاتهم بالرومان في الفترات اللاحقة، فقد أدرك الجرامنت أن سكان المدن الساحلية هم الذين يشرفون على المنافذ البحرية التي تقوم بتصريف البضائع الإفريقية إلى دول حوض البحر المتوسط، والمرجح أنهم سعوا جاهدين لكي لايحل الكساد بتجارتهم فتبور سلعتهم، لذلك فتحوا طرق التجارة أمام الفنيقيين والرومان مع أواسط إفريقيا وأصبحت جرمة عاصمة الصحراء الكبرى.

وكان سبب اختياري لهذا الموضوع هو الأهمية التجارية لموقع المملكة الجرامنتية في قلب الصحراء وكذلك الدور المهم الذي لعبته هذه المملكة في تجارة القوافل، حيث تربطها علاقات تجارية واسعة مع عدداً من الشعوب سواء في أواسط إفريقيا أو في مناطق الساحل، وكذلك مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط ، إذ كانت حلقة وصل بين شمال القارة وجنوبها وتحكمت في طرق القوافل التجارية ،حيث كانت تصلها منتجات أواسط إفريقيا ومنها تنقل إلى المدن الساحلية ومن موانى هذه المدن إلي دول حوض البحر الأبيض المتوسط والعكس.

بالنظر إلى موقع جرمة ومهارة الجرامنت في التجارة الصحراوية ومعرفتهم بمجاهل الصحراء وقدرتهم نظراً لكثرتهم وقوتهم الحربية مما مكنهم من حماية القوافل التجارية مصدر ثروتهم حيث أصبحت جرمة عاصمة الجرامنت مركزاً تلتقي فيه القوافل التجارية الذاهبة إلي أواسط إفريقيا من الساحل الليبي والقوافل القادمة من أواسط إفريقيا باتجاه ذلك الساحل وكذلك إلى دول حوض البحر الأبيض المتوسط[1] وكون الجرامنت علاقات تجارية مع كثير من الدول أهمها ما يلي:

أولاً- العلاقة التجارية بين الجرامنت وأواسط إفريقيا:

كان الاتصال بين أجزاء القارة الإفريقية قديمًا فقد عثر في مقابر تعود لعصور ماقبل التاريخ بسواحل المتوسط على الكثير من المخلفات الأثرية التي كانت تصنع من المواد التي لا توجد إلا في المناطق الإفريقية وهناك الكثير الدلائل التي تشير إلى وجود هذه الاتصالات، منها وجود طرق تجارية للقوافل تربط بين بلاد الجرامنت ومروى في السودان، كما توجد طرق أخرى تربطها بتشاد والنيجر[2].

ويفصل أواسط إفريقيا التي تقع جنوب بلاد الجرامنت عن المنطقة الساحلية منطقة صحراوية شاسعة تتكون من بحار من الرمال وعدد من الهضاب، وهي قليلة السكان ونادرة المياه ، وقد فصلت هذه الصحراء بين مناطق حوض البحر الأبيض المتوسط، ومناطق أواسط افريقيا حيث السلع الإفريقية، وبذل الإنسان منذ عصور قديمة مجهودات جبارة من أجل اجتياز هذه الصحراء عن طريق استعمال القوافل[3].

ويبدوا أن الاتصالات بين بلاد الجرامنت والمناطق الإفريقية كانت سهلة وميسرة خلال العصور المطيرة، ومنذ عصور الجفاف قلت تلك الاتصالات نتيجة لوجود الحزام الصحراوي، وهذا يعني أن

---

[1] عبد اللطيف محمود البرغوثي، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1، طرابلس،1993، ص229.

[2] محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، ط1، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس،1993، ص50.

[3] محمد سليمان أيوب، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، دار المصراتي للطباعة والنشر، طرابلس، 1969، ص ص197-198.

الاتصال لم يقطع نهائياً وإنما استمر بواسطة رجال القوافل الذين سلكوا عدة طرق، يحملون بضائعهم وبضائع دول حوض البحر الأبيض المتوسط إلى أواسط أفريقيا[1]، وتعود قوافلهم محملة بالسلع الإفريقية إلى جرمة لتصنيعها أو لتصديرها إلى أسواق المدن الساحلية ودول حوض البحر المتوسط [2].

وقد لعب الجرامنت دور الوسيط في هذه التجارة، وأصبحت جرمة مستودع لبضائع مناطق أواسط افريقيا، حيث كانت هذه الأسواق تمد التجارة الجرامانتية بكل ما تحتاجه من مختلف السلع[3]، ولم يترفع الحكام الجرامنت عن العمل في التجارة وقيادة القوافل التجارية، وبذلك أصبحوا أثرياء وأقوياء وتمكنوا من الوقوف ضد رغبات ملوكهم[4].

وأشهر طرق القوافل التي كانت تربط بلاد الجرامنت بأواسط أفريقيا هو ذلك الطريق الذي كان يمتد من جرمة إلى تساوا، حيث توجد أطلال قلعة ومقبرة جرامنتية، ثم إلى مدينة شرابة، ثم تخترق المنطقة التي تعرف بصحراء مرزق إلى مرتفعات كوار إلى أجدز، ومنها إلى ضفاف نهر النيجر، وطريق آخر يربط جرمة ببحيرة تشاد، حيث يمتد من جرمة الى تساوا ومنها يتجه شرقاً إلى البدير وتراغن، ثم الواوات فالكفرة ثم يتجه جنوباً إلى العوينات وجبل أندي ثم بحيرة تشاد[5]، وطريق آخر يتجه من أندي إلى جبل ميدوب (بكردوفان السودان) ثم إلى مروى حيث كان هناك تعاون تجاري بين مروة بحضارتها العظيمة ومملكة جرمة[6]، وكان هناك سلسلة من الواحات تنتشر من الشمال إلى الجنوب وعلى مسافات متقاربة ما بين بلاد الجرامنت وأفريقيا وهو ما جعل السفر ميسوراً بين هذه المناطق[7].

---

(1) جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ط2، ترجمة: عبد الحفيظ الميار أحمد اليازجي، دار الفرجاني، طرابلس، 1993،ص26.

(2) ب. سلامة ، الصحراء في التاريخ القديم، تاريخ افريقيا العام ، مج2، اليونسكو، 1985،ص542.

(3) المرجع نفسه،ص542.

(4) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص227.

(5) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100–450م، مجلد ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي،1969،ص182.

(6) حندوقة إبراهيم فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة وآثارها، القاهرة، 2002، ص72.

(7) عبد اللطيف محمود البرغوثي ، مرجع سابق ، ص229

ويقوم على حماية هذه الطرق والإشراف عليها محطات عسكرية محصنة، إذ يرجح أن الجرامنت هم الذين أقاموا حصن فلاتيرس لحماية الطريق الجنوبي الغربي نحو النيجر[1]، وكذلك قلعة أي ونكنن وأي مسرجن في منطقة الاتاكوس وقلعة قصر مارا غرب مدينة مرزق بحوالي بمائة وعشر كيلومتراً [2].

وتدل القبور الجرامنتية الموجودة حول هذه القلاع أنه كان هناك حاميات مستقرة بهذه النواحي، وكانت فائدة هذه القلاع هي حماية القوافل التجارية بين بلاد الجرامنت والمناطق الإفريقية، وكانت هذه الحصون محمية بسور مرتفع عليه أبراج وبوسط الحصن بئر للشرب وكان الحصن يشرف على وادي يستعمل هذا الوادي كمخزن لتجميع مياه المطر، وتستعمل أيضا كمرعى لحيوانات النقل، ولم تقتصر مهمة هذه القلاع على الحراسة والحماية بل استخدمت مكاناً لإيواء الدواب ومنحها الوقت الكافي للراحة واستبدالها إذا تبين عدم قدرتها على استكمال رحلتها، وقد استقرت حول هذه القلاع بعض القبائل التي كانت تبيع وتشتري مع القوافل بعض احتياجاتها[3] ومع مرور الزمن نشأة حول هذه القلاع مدن كبرى؛ كانت شرابة إحدى هذه المدن التي قامت حول قلعة كانت تحرس هذه الطرق[4].

وقد استخدم الجرامنت في النقل الثيران قبل بداية عصور الجفاف، فقد عثر بالصحراء الكبرى على عدد من النقوش التي تمثل الثيران وعليها السروج، ثم أخذت الحمير تحل محلها بالتدريج[5]، ونرى في كثير من الرسوم الصخرية أن الحيوانات التي تجر العربات ليست كلها من الخيول فقد لوحظ أن بعض تلك الحيوانات طويلة الأذن قصيرة القامة وهي صفات لا تتوفر إلا في الحمير أكثر من توفرها في الخيول[6]، ويذكر أن قوافل الجرامنت في بعض الأحيان كانت تتكون من عدد

---

(1) مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي،1966،ص38 .

(2) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها ،ص183.

(3) محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص ص 202-203.

(4) Bates,O.,The Estern Libyan.,London,1970,p.48.

(5) ريموند موني، طرق التجارة عبر الصحراء بين ليبيا ومناطق السافانا في النيجر وتشاد قبل الفتح العربي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثالثة، 1981، ص116.

(6) محمد سليمان أيوب ، جرمة في عصر ازدهارها، ص186.

كبير من الحمير إذ وجد منقوشاً على جدران مقبرة التاجر حرخوف(Harkhuf) بأسوان أنه كان يستعين بالقوافل الليبية ليصل إلى بلاد واوات وأن تلك القوافل كانت تضم أكثر من ثلاثمائة حمار، كما أشارت النصوص المصرية أن هذا الحيوان كان يستعمل في القوافل وانها كانت تسير آلاف الكيلومترات عبر الصحراء الكبرى[1]، ويذكر هيرودوت[2] أن الحمير كانت تستخدم في أيامه في عبور الصحراء وهو يروي قصة مفادها أن بعض أفراد قبيلة النسمونيس قد عبروا الصحراء الكبرى من سواحل سرت إلى قلب القارة الإفريقية على ظهور الحمير، وظلت الحمير الوسيلة المفضلة لعبور الصحراء حتى ظهرت قبائل الجرامنت بالخيول والعربات فنشطت التجارة، وقد ساعدت كثرة الخيول عند الجرامنت على سيادة الصحراء[3].

استعمل الجرمنتيين حسب ما ذكر هيرودوت[4] في تنقلاتهم العربات التي تجرها أربعة خيول، والتي كانوا يطاردون بها الإثيوبيين(الترجلودايت Troogiodtes) لأنهم كانوا يمتازون بالسرعة الفائقة، وهذا ما يبعث على الاعتقاد بممارسة تجارة الرقيق، وهناك شاهد (أوستراكا Ostraca) تشير إلى هذا النوع من التجارة، ففي الشاهد الأول عبد هارب كان قد جلب إلى الحصن ربما لغرض بيعه بواسطة جماعة من الجرامنت، بينما خص الأوستراكا الآخر يذكر فيه أرقاء زنوج وغير واضح ما أذا كانوا هناك يخدمون في الحامية أو قد تم جلبهم للمتاجرة بهم ونقلهم باتجاه الساحل[5].

وتؤكد الرسوم الصخرية التي نقشها الجرامنت استعمالهم لهذه العربات حيث يظهر الحصان بشكل منفصل وأحياناً متصل بعربة وهذه العربات شديدة الخفة ومزودة بعجلتين ولقد احتفظت النقوش الصخرية بعدد مهم من صور هذه العربات[6]، ففي إحدى لوحات وادي تشونيت(

---

(1) محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص209.

(2) هيرودوت ، الكتاب الثاني من تاريخ هيردوت(وصف مصر)، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2004، ص ص 30-31.

(3) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100-450م، ص187.

(4) History.,VI.183.

(5) Mattingly,D.J.,Tripolitania.,London, 1995,p.156.

(6) ريموند موني، مرجع سابق، ص119.

الاتاكوس) منظراً يمثل عربة تجرها مجموعة من الخيول وهي تنطلق هاربة من صاحبها وتقود هذه العربة فتاة تحاول بكل قواها السيطرة على الحصان وإيقاف العربة[1].

كما أشار سترابون[2]، أن تربية الخيول تحضى باهتمام خاص من قبل الملوك الجرامنت حتى أن عدد المهر وصل إلى حوالي مائة ألف مهر سنوياً.

وتجدر الإشارة إلى أن الصحراء الكبرى لم تعرف الخيول والعربات قبل ظهور الجرامنت على مسرح أحداثها، حيث ظلوا مخلصين للجياد فعنوا بتربيتها وسلكوا بها الطرق الصحراوية وساعدتهم سرعتها على اختصار الطرق بين قلب القارة الأفريقية وبين المدن الساحلية ومناطق أخرى [3]، لقد أدى إدخال الحصان والعربة إلى تغيرات كبيرة وبدأت عمليات النقل تتغير إلى الأفضل،حيث تمكن الجرامنت بواسطة عرباتهم ذات العجلتين من الوصول بسرعة إلى جبال التاسيلي حتى منطقة نهر النيجر[4]، ويبدو أن انتشار صور العربات على الرسوم الصخرية يشير إلى سيطرتهم وتنظيمهم لطرق القوافل التجارية.

كانت القوافل الجرامنتية تحمل إلى أواسط أفريقيا بعض الإنتاج الجرامنتي مثل الملح الذي كان الجرامنت يحتكرون تجارته التي كانت تدر عليهم ذهباً، فقد كان الملح معدوما في إفريقيا، وكان يباع في أسواق أواسط أفريقيا[5]، خاصة في النيجر بمثل حمولتها ذهباً : حمولة ذهب مقابل حمولة ملح[6]، وكذلك الحلي الفضية كالأساور وكذلك عقود الزينة التي بلغت درجة كبيرة من الدقة سواء ما صنع من الزجاج أو من الأحجار الكريمة كالفيروز الأخضر والعقيق الأحمر[7]، كما كان

---

(1) فابريتشيو موري، تادرات أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة: عمر الباروني وفؤاد الكعباري، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس،1988، ص163.

(2) The Geography.,VIII.19.

(3) Bates,O.,op.cit.p28.

(4) هنري لوت، الطوارق، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1979، ص243.

(5) جون رايت، مرجع سابق، ص230.

(6) محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص216.

(7) صالح ونيس عبدالنبي، ليبيا وجذورها الحضارية الموغلة في القدم، مجلة آثار العرب، العدد السابع والثامن، 1993، ص31.

الجرامنت ينقلون إلى الأسواق الأفريقية أيضاً سلع أخرى كالخزفيات والزجاج والملابس والأدوات الحديدية[1].

وفي المقابل استورد الجرامنت من أسواق أواسط إفريقيا العاج، الذي كان يباع بأثمان غالية جداً نظراً لاستخدامه في صناعة تماثيل الآلهة، كما استعمل في صناعة مقابض الأبواب والمباني وصناعة الأختام[2]. بالإضافة إلي الذهب من النوبة والنيجر وخشب الأبنوس من أثيوبيا والفضة من منطقة تمبكتو وتصدر إلى مناطق مختلفة [3].

وقد تحدث عدد من المؤرخين الكلاسيكيين عن بعض الحيوانات في افريقيا والتي شكلت مصدراً لهذه التجارة، ومن هذه الحيوانات الأسود والخنازير البرية والذئاب وبقر الوحش والثعالب والضباع والنمور وكذلك الثيران والأبقار التي كان لها مردود جيد على تجارة الجرامنت عن طريق تربيتها ثم بيعها [4] كما كانت الأسواق الإفريقية تمد التجارة الجرامنتية بمختلف السلع المواد الخام أهمها جلود الحيوانات والأخشاب والعبيد وكذلك البخور والبهارات وبيض النعام[5] .

ثانياً- العلاقة التجارية بين الجرامنت والقرطاجيين:

لا نعرف إلى أي فترة تعود بداية العلاقات بين القرطاجيين والجرامنت وكل ما نملكه هي مجرد شذرات وردت في المصادر الرومانية والتي يظهر أنهم نقلوها عن القرطاجيين، كما أن تدمير قرطاجة من طرف الرومان كان سببا في فقدان الكثير من الوثائق والمصادر التاريخية [6]، وشهدت تجارة القوافل الصحراوية ازدهاراً كبيراً في العهد القرطاجي وتنوعت سلعها، فقد كان هؤلاء رجال بحر وتجارة[7]، وإن الصرامة التي اتخذتها قرطاجة في إبعاد اليونان والرومان عن البلاد الواقعة

---

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية ، ص 216.

(2) Pliny,Natural History,VIII.X.13.

(3) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص230.

(4) أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا ، ط2، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع مصراته، 2004، ص176.

(5) محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص216.

(6) المرجع نفسه، ص ص 136-137.

(7) أحمد سعيد الفيتوري، ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار،1972، ص8.

غربي السرت الكبير قد انعكست في قلة المعلومات التي أوردها المؤرخون القدامى عن التجارة القرطاجية ، وقد أفلح القرطاجيون في إخفاء أسرار تجارتهم إلى درجة كبيرة[1].

وكانت السفن ترسو في موانى المدن القرطاجية، وعند هذه الموانئ يبدأ طريق الاتصال الأكثر قصراً بين البحر وبين مملكة الجرامنت والتي كانت تأتي عبرها منتجات إفريقيا الداخلية، وتحصلوا عن طريقها على البضائع الثمينة [2]، وقد لعب الجرامنت الدور الفعال في المبادلات التجارية بين القرطاجيين وأسواق أواسط إفريقيا[3]، فقد كانوا وسطاء التجارة بين الشمال والجنوب وهذا ناتج عن سيطرتهم على الواحات ونقاط الراحة في الجانب الشمالي من وسط الصحراء[4].

فعند استقرار القرطاجيين على سواحل أفريقيا، لم يبدوا أي رغبة في التوغل داخل أفريقيا لجلب ما فيها من سلع بل اكتفوا بأن ينتظروا في مراكزهم التجارية على الساحل حتى تأتي القوافل تحت حراسة الجرامنت، فهم وسيلة انتقال العديد من السلع التي تأتي من المناطق الأفريقية إلى الساحل، وكان التجار القرطاجيين يأتون من مدينتهم قرطاجة إلى المدن الثلاث وينزلون بها في انتظار قدوم قوافل الصحراء لشراء ما تجلبه قوافل الجرامنت والتجار القرطاجيين من بضائع [5].

وقد اعتمد القرطاجيون في حياتهم على الاشتغال بالتجارة، حيث كانوا من أمهر التجار الذين عرفتهم أقاليم حوض البحر الأبيض المتوسط [6]، وكانت السلع الأفريقية تنقل إلى القرطاجيين عن طريق القوافل التجارية وكانت هذه القوافل تعبر الصحراء ذهاباً وإياباً عن طريق الأدلاء الجرامنت

---

[1] عبد الرحمن بن عطايا الله، المدن والتمدن في الصحراء الكبرى قديما: دراسة حالة شعب الجرامنت، مجلة عصور جديدة، العدد العاشر، جامعة وهران، الجزائر، 2014، ص 37.

[2] حسين مسعود ابومدينة، الموانيء الليبية دراسة في الجغرافية الاقتصادية، منشورات جامعة 7 اكتوبر، مصراتة ، 2008، ص88.

[3] شارل اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي ، البشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1978، ص219.

[4] أحمد محمد انديشة، مرجع سابق، ص159.

[5] عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص62.

[6] محمود الصديق أبوحامد، مظاهر الحضارة الفنيقية في طرابلس، مجلد ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي1969ن ص130.

الذين كانوا على دراية بالمسالك والطرق الصحراوية، بحكم إنهم أعلم بدروب الصحراء ويبرهن على ذلك المكتشفات الأثرية ببلاد الجرامنت ووجود بعض المقابر الفينيقية بجرمة تحوي أدوات شبيهة بأدوات قرطاجة[1]، وتذكر المصادر القديمة أن تاجراً قرطاجياً يدعى ماجو(Mago) عبر ثلاث مرات الصحراء بتجارته مع قوافل الجرامنت[2].

وكانت الإمبراطورية القرطاجية في أوج قوتها تتحكم في كل سواحل شمال أفريقيا وتسيطر على التجارة القائمة بين داخل القارة وعالم البحر المتوسط وكانت حاجتهم إلى سلع إفريقيا هو ما دفعهم إلى إقامة هذه العلاقة [3]. وبحكم أهمية هذه التجارة نشأت بين الطرفين علاقات ودية وسلمية ولم يحاول القرطاجيين السيطرة على طرق القوافل ولعل هذا السلم كان أحد أسباب ازدهار التجارة الصحراوية بشكل كبير خلال العصر القرطاجي، ويعتقد بعض الباحثين أن القرطاجيين قد وضعوا التسهيلات اللازمة التي من شأنها اجتذاب التجارة من داخل الصحراء كما كانوا يساهمون بأنفسهم في الرحلات التجارية نحو بلاد الجرامنت[4].

صدر القرطاجيون إلى بلاد الجرامنت السلع المصنعة في بلادهم ومناطق أخرى مثل مصر وسوريا وبلاد اليونان وأهمها الأواني المعدنية والبرونزية، الأواني الفضية والفخارية والزجاجية والأسلحة بالإضافة إلى معدن القصدير وقوارير العطور والأقمشة الصوفية والحريرية وزيت الزيتون ليتم مبادلتها بمنتجات إفريقيا[5] كما كانت قرطاجة تستورد ما تحتاج إليه من أخشاب لصناعة السفن، وجلبوا أيضا من أفريقيا الأفيال، واعتنوا بتربيتها وترويضها واستخدموها في الحروب[6] .

وقد ذكر هيرودوت[7]، أن القرطاجيين تاجروا في الذهب ومنذ ذلك الحين أصبح الذهب محور تجارة أفريقيا، وكان الذهب أهم الصادرات الذي يحتمل أن المدن الساحلية قد حصلت عليه

---

(1) عقون محمد العربي، مرجع سابق، ص62.

(2) جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، طرابلس،1967، ص71.

(3) محمود الصديق أبوحامد، مرجع سابق، ص120.

(4) أحمد محمد انديشة، مرجع سابق، ص117.

(5) محمود الصديق أبوحامد، مرجع سابق، ص130.

(6) حسام ابوسعدة، حضارة قرطاجنة ، ط1، دار طيبة للطباعة ، القاهرة، 2011 ، ص23.

(7) History.,IV.196.

من الجرامنت، كما ذكر سترابون[1] أن القرطاجيين كانوا يحصلون من أرض الجرامنت على الأحجار الكريمة وهو مايعرف بالحجر القرطاجي أو العقيق الأحمر؛ لأن قرطاجة كانت تصدره إلى العالم الخارجي بعد استيراده من الجرامنت[2]، وذكر بلينيوس[3] أن مناطق إنتاجه في إثيوبيا وأنه يصدر إلى مناطق الساحل ودول حوض البحر الأبيض المتوسط عن طريق الجرامنت وقد عثرت البعثات الأثرية على الكثير من العقود المستخدمة في الزينة والمواد الخام من هذه الأحجار في منطقة جرمة[4]، كما عثروا على المنسوجات المختلفة من حريرية وصوفية إذ ظهرت في قبور الجرامنت قطعاً من الملابس الصوفية المصبوغة بالصبغة الأرجوانية التي يرجح أنها مصنوعة في مدينة صور[5].

وقد أشار هيرودوت[6] إلى أن التجار القرطاجيون كانوا يبيعون سلعهم مقابل المعادن الثمينة مثل الذهب، ويحصلون من وراء ذلك على عمولات ومكاسب مجزية، وقد يسر هذا الأسلوب للقرطاجيين الاستحواذ على الأسواق التي كانوا يبيعون فيها سلعهم، ويحصلون مقابل ذلك على المعادن الثمينة التي كانت الأساس في تكوين ثروتهم[7].

وقد أولى القرطاجيون أهمية كبيرة بهذه التجارة التي كانت تغني خزينتهم من المكوس من تلك المنطقة التي لم يجدوا فيها أي منافس لهم[8]، ولذلك لعبت قرطاجة دوراً مهماً في تنشيط الحركة التجارية بين الشمال والجنوب عن طريق الجرامنت[9].

---

(1) The Geography.,VIII.19.

(2) عبد اللطيف البرغوثي، مرجع سابق، ص230.

(3) Natural History,V.5.34.

(4) أحمد محمد انديشة ، مرجع سابق، ص174.

(5) المرجع نفسه ، ص178.

(6) History.,IV.196.

(7) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2011، ص189.

(8) عقون محمد العربي، مرجع سابق، ص64.

(9) محمود الصديق أبوحامد، مرجع سابق، ص181.

هذه العلاقات السلمية كانت أحد أسباب ازدهار التجارة الصحراوية بشكل كبير في العصر القرطاجي، ويعتقد بعض الباحثين أن القرطاجيين وضعوا بعض التسهيلات اللازمة التي من شأنها اجتذاب التجارة الصحراوية من داخل الصحراء، كما كانوا يساهمون بأنفسهم في الرحلات التجارية نحو بلاد الجرامنت كما ذكرنا سابقاً، وهذه التجارة ما كانت لتتطور لولا الأمن والاستقرار اللازمين لاستمرار النشاط التجاري بين الشمال والجنوب [1].

ثالثاً: علاقة الجرامنت مع دول حوض البحر الأبيض المتوسط :

كانت القوافل الجرامنتية تستورد من أسواق وموانئ البحر المتوسط عن طريق الموانئ الساحلية أشياء كثيرة منها الزيتون والخمور وكانت هذه السوائل تعبأ عادة في أمفورات كبيرة وكانت تحمل على عربات بها فتحات لتثبيت هذه الجرار[2]، أما الأسلحة الحديدية فقد كانت أهم السلع التي حرص الجرامنت على الحصول عليها من دول حوض المتوسط، وكذلك أنواع الفخار المختلفة لغرض استعمالها ولغرض المتجارة بها أيضاً، فقد عثر في جبانة سانية بن هويدي الواقعة بالقرب من جرمة على أعداد كبيرة من مختلف أنواع الفخار ومنها الأواني الزجاجية المصنوعة بالإسكندرية، وتعد الأواني السميونية التي من صنع الليزو بجنوب فرنسا أهم ماعثر عليه بتلك الجبانة، كما وجد بتلك المقابر أيضاً على عدد من القناديل الفخارية المختومة وعلى أقراصها مناظر تمثل شخصيات الأساطير الإغريقية والرومانية[3]، كما تم العثور على قلادة من العاج على هيئة قرد وبعض الأختام المصنوعة من العاج في جزيرة كريت[4]، كما عثر أيضاً على بيض النعام في المقابر الأتروسقية، وأشار بلينيوس[5] إلي أن مساكن الفيلة توجد في اتجاه مساكن مملكة الجرامنت وكذلك بأرض إثيوبيا أما السلع المستوردة من جرمة فيتم شحنها عن طريق العمال لتبحر بها السفن إلى بلدان أخرى متاجرين بها مع بلاد الإغريق وإسبانيا وغيرها من جهات أوروبا الجنوبية.

---

(1) المرجع نفسه، ص117.

(2) حندوقة إبراهيم فرج، مرجع سابق، ص72.

(3) محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ص ص211-212.

(4) أحمد محمد انديشة ، مرجع سابق، ص175.

(5) Natural History,VIII.X.13.

رابعاً– العلاقة التجارية بين الجرامنت الرومان:

بسقوط قرطاجة ورثت روما بصورة تلقائية تركت التجارة الصحراوية مع المملكة الجرامنتية، واهتموا بها وسخروا لها كل الإمكانيات وأرسلوا الحملات الواحدة تلو الأخرى لكي تستمر هذه التجارة وتنساب القوافل عبر الدروب والمسالك الصحراوية[1]، تمخض عن هذه الحملات عن ربط أواصر التعاون بين الطرفين واتفقوا على تأمين الطرق التجارية بين الشمال والجنوب وتمهيدها وتوسيعتها والقضاء على قطاع الطرق، وليس هذا وحسب بل تعداه إلى تأمين الطرق التجارية بين جرمة وأواسط أفريقيا المصدر الأساسي للذهب والحيوانات المفترسة والعبيد والعاج وغيرها[2] .

وبعد الحملات الاستطلاعية نحو الجنوب نشأ بين الطرفين علاقات تجارية وطيدة[3]، و كان هذا التعاون في صالح الطرفين حيث زاد النشاط التجاري وكثرة البضائع القادمة من بلاد الجرامنت نحو أسواق روما[4] فازداد حجم المبادلات التجارية بين الجرامنت والرومان [5]، وازداد النشاط التجاري بشكل كبير؛ بفضل تشجيع الحكومة الرومانية لرجال الأعمال الرومان؛ وأسهم في تقوية اقتصاد الطرفين [6]، ونتج عن التعاون إقامة التجار الرومان لوكلات تجارية في جرمة حيث شاركوا في النشاط التجاري فيها[7]، ونستوحي وجود المقيمين الرومان من الضريح الجنائزي المبني على الطراز الروماني في جرمة المعروف باسم المدافن الحجرية التي يحتمل بأن بناءها قد تم عام 100م[8]، وهذا الضريح الجنائزي دليل على إقامة عدد من التجار الرومان في جرمة، خاصة بعد تَحَسُّن العلاقة بين الطرفين وهذا أدى إلى ازدهار التجارة، وزيادة حجم التبادل التجاري بينهما مما عاد بالنفع على الطرفين.

---

(1) مصطفى كمال عبدالعليم، مرجع سابق، ص174.

(2) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها، ص 180.

(3) محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، ص52.

(4) Brogan,O.,"The Camel in Roman Tripolitania"., PBSR, vol. 22., Roma,1954.,p.128.

(5) محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص159.

(6) عمار المحجوب، العصر الروماني، تاريخ أفريقيا العام، مج 2، اليونسكو 1985،ص500.

(7) مصطفى كمال عبد العليم، مرجع سابق، ص91.

(8) Law,R.C.C.,"The Garamantes and Trans Saharan Enterprise in ClassicaTimes".,JAH.vol.No.2.Cambridge,1967.,p.194.

وقد استعان الرومان بالجرامنت الذين لعبوا الدور المهم في تسيير هذا النشاط، فالتجارة تحتاج إلى وسطاء لنقل البضائع من مكان لآخر وكذلك حراسة الطرق التجارية للتشجيع على زيادة حركة القوافل التجارية وعمليات التبادل التجاري [1]، وكان الأدلاء المهرة من الجرامنت يقومون بقيادة القوافل التجارية التي تقوم بنقل السلع من أواسط أفريقيا إلى جرمة، ومنها إلى رومان [2]،حيث كانوا على دراية بمسالك الطرق الصحراوية، لذلك وطد الرومان علاقاتهم التجارية معهم[3]، قام الرومان بإقامة سلسلة من الحصون والمحطات كان الغرض منها تسهيل التحركات العسكرية ولكن في نفس الوقت استغلت للتجارة ومراقبة الطرق التجارية وحمايتها[4].

وقد كشف علماء الآثار في جرمة عن حفريات تبين أن هناك شيئًا من التجارة المتبادلة بين الرومان والجرامنت تمثلت في الأدوات الزجاجية، إذ احتوت كثيرًا من القبور التي تم فتحها في جرمة على مصابيح وفخار وأدوات زجاجية رومانية تعود إلى ما بين القرن الأول والرابع الميلاديين [5].

وقد تعددت وتنوعت السلع سواء الصادرة من بلاد الجرامنت أو الواردة إليها خلال العصر الروماني، فقد كانت القوافل الجرامنتية تستورد أشياء كثيرة منها زيت الزيتون حيث كان يعبأ في أمفورات(جرار كبيرة) [6]، وكان له أهمية كبيرة حيث كان له العديد من الاستعمالات منها الحمامات العامة لغرض التدليك وفي الأغراض الطبية، وكذلك استعمل لغرض الإضاءة[7]، وفي تحضير العديد من الأدوية والصابون والزيوت والعطور ومواد التجميل[8] كما استخدم الزيت علاجًا لأمراض الحيوانات[9]، ومن الثابت أن السلع المجلوبة من أواسط إفريقيا كانت تتدفق إلى روما بعد أن تتجمع في مدينة جرمة ويشرف الجرامنت بدورهم إلى توريدها إلى روما[10]. وكذلك الأسلحة

---

(1) نجم الدين غالب الكيب، صبراته في فلك التاريخ، ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس،1982، ص70.

(2) ب. سلامة، مرجع سابق،ص529.

(3) Herodotus, History,,IV.183.

(4) أحمد محمد انديشة، مرجع سابق، ص171.

(5) د. ي. هاينز، منطقة طرابلس، دار الفرجاني، طرابلس، 1965، ص63.

(6) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها، ص189.

(7) محمد علي عيسى، تبليط شوارع لبدة وثورة تكفريناس، مجلة تراث الشعب، العدد1، دار الثقافة، طرابلس، 2000، ص23.

(8) د.ج . ماتنغلي، منطقة طرابلس في العصر الروماني، ترجمة: محمد الجراري ومحمد حيدر، المركز الوطني للمحفوظاتن طرابلس، 2009، ص347.

(9) Pliny,NatHist,XV,VIII.

(10) Haynes,E.L., The Antiquites of Tripoliatania,Tribol,Libya,1965.,p.13.

الحديدية التي كانت من أهم المبيعات التي حرص الجرامنت على الحصول عليها من الرومان، وهناك أيضاً الفخار الروماني الذي استورده الجرامنت لغرض الاستعمال اليومي ولغرض التجارة أيضاً، حيث عثر حفريات جبانة سانية هويدي قرب جرمة على أنواع مختلفة من الفخار الروماني[1]، وتُعَدُّ صناعة الفخار من أقدم الصناعات التي عرفها الإنسان نظراً لاستعمالاته المتعددة[2]، فقد استورد الجرامنت الأمفورات التي استعملوها في نقل زيت الزيتون والنبيذ [3] واكتشف علماء الآثار عددًا من المصابيح الرومانية في معظم مناطق الجرامنت[4]، كما أسفرت الحفريات بجرمة على العثور على الخزفيات الرومانية التي ترجع الي القرن الثاني قبل الميلاد[5]،وكذلك استورد الجرامنت أيضاً المنسوجات الحريرية منها والصوفية، وكان الجرامنت مولعين بلبس الإزار الروماني المصنوع من الجلد إذ ظهرت في قبورهم قِطَعٌ من الملابس الصوفية المصبوغة بالصبغة الأرجوانية[6].

الخاتمة

من خلال دراستنا لموضوع العلاقات التجارية للمملكة الجرامانتية يتضح لنا الآتي:

- فرض الجرامنت بحكم موقعهم الاستراتيجي سيطرتهم ونفوذهم على كل منطقة فزان، وسيطروا على الطرق التجارية الصحراوية، وتمكنوا من إقامة علاقات تجارية مع دول وحضارات البحر المتوسط وشعوب أواسط أفريقيا.
- سيطر الجرامنت على الطرق التجارية الصحراوية، وأصبحت المملكة الجرامنتية حلقة وصل بين دول حوض البحر الأبيض المتوسط من جهة، وبين الشعوب الافريقية من جهة أخرى.

---

(1) محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص213.

(2) عمار المحجوب، مرجع سابق،ص170.

(3) Arthur,P.,"Amphora Production in TheTripolitaniaGebel".,LS,vol.13, Cambridge,1982.,p.61

(4) أحمد محمداندیشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، ص180.

(5) تشارلز دانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ترجمة: أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1991،ص 82.

(6) محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها، ص 187.

– كانت التجارة الصحراوية مورداً اقتصادياً مهماً بالنسبة للجرامنت، فلقد كانوا وسطاء تجاريين، ينقلون السلع من أواسط إفريقيا إلى بلادهم ومن ثم إلى أسواق المدن الساحلية في العصرين الفينيقي والروماني وعن طريق موانئ المدن الساحلية تنقل هذه السلع إلي دول حوض البحر الأبيض المتوسط، وكذلك نقل سلع هذه الدول إلى جرمة ومنها إلى أواسط إفريقيا.

– استخدم الجرامنت العربات التي تجرها الخيول وظهر ذلك من خلال الفن الصخري وأدى إدخالها إلى تغيرات كبيرة حيث تمكن الجرامنت بواسطة هذه العربات من الوصول بسرعة إلى مناطق بعيدة كانوا يتاجرون معها، وكان هناك نوعان من هذه العربات الخشبية ذات العجلتين والأخرى كبير وذات عجلتين أو أربع عجلات تسمح بنقل البضائع عليها وأحياناً توجد بسطحها فتحات لتثبيت الأمفورات التي تحمل الزيت والنبيذ.

– تشير الرسوم الصخرية التي وجدت في بلاد الجرامنت إلى استخدام الخيل والحمير في رحلات القوافل قبل معرفة الجمل، الذي كان استخدامه ثورة في تجارة القوافل الصحراوية لما للجمل من مميزات جعلته أصلح الحيوانات لعبور الصحراء وتحمل طبيعتها القاسية.

المصادر والمراجع

أولا- المصادر:

-Strabo,The Geography of Strabo,LCL,eng. Tran. byH.L.Jones, London,1982.

-Herodotus, History, LCL, eng. Tran. by A.D.Godleey, London, 1998.

-Pliny, Natural History, LCL, eng. Tran,by Rack,H.A.M,London,1950.

- هيرودوت ، الكتاب الثاني من تاريخ هيردوت(وصف مصر)، ترجمة: محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2004.

ثانياً- المراجع الأجنبية:

- Bates,O.,The Estern Libyan.,London,1970.

-Mattingly,D.J.,Tripolitania.,London, 1995.

Brogan,O.,"The Camel in Roman Tripolitania"., PBSR, vol. 22., -Roma,1954.

- Law,R.C.C.,"The Garamantes and Trans Saharan Enterprise in Classica Times".,JAH.vol.No.2.Cambridge,1967

- Haynes,E.L., The Antiquites of Tripoliatania,Tribol,Libya,1965.,p.13.

- Arthur,P.,"Amphora Production in TheTripolitaniaGebel".,LS,vol.13, Cambridge,1982.

ثالثاً- المراجع العربية:

- أحمد محمد انديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث في ليبيا،ط2، دار ومكتبة الشعب للنشر والتوزيع، مصراته، 2004.

- أحمد سعيد الفيتوري، ليبيا وتجارة القوافل، الإدارة العامة للآثار،1972.

- ب. سلامة ، الصحراء في التاريخ القديم، تاريخ افريقيا العام ، مج2، اليونسكو، 1985.

- حسام ابوسعدة، حضارة قرطاجنة، ط1، دار طيبة للطباعة ،القاهرة، 2011.
- حسين مسعود ابومدينة، الموانئ الليبية دراسة في الجغرافية الاقتصادية، منشورات جامعة 7 اكتوبر، مصراتة ، 2008.
- حندوقة إبراهيم فرج، نماذج من الحضارات الافريقية القديمة وآثارها، القاهرة، 2002.
- صالح ونيس عبدالنبي، ليبيا وجذورها الحضارية الموغلة في القدم، مجلة آثار العرب، العدد السابع والثامن،1993.
- عبد اللطيف محمود البرغوثي ، التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور حتى الفتح الإسلامي، ج1،
طرابلس،1993
- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،2011.
- عبد الرحمن بن عطايا الله، المدن والتمدن في الصحراء الكبرى قديما: دراسة حالة شعب الجرامنت، مجلة عصور جديدة، العدد العاشر، جامعة وهران، الجزائر، 2014.
- عقون محمد العربي، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الافريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008.
- عمار المحجوب،العصر الروماني، تاريخ أفريقيا العام، مج 2، اليونسكو 1985.
- محمد سليمان أيوب، مختصر تاريخ فزان، ط1 ، منشورات مصلحة الآثار ، طرابلس،1993.
- محمد سليمان أيوب ، جرمة من تاريخ الحضارة الليبية القديمة، ط1، دار المصراتي للطباعة والنشر طرابلس،1969.
- محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100-450م، مجلد ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي1969.
- محمد علي عيسى، تبليط شوارع لبدة وثورة تكفريناس، مجلة تراث الشعب، العدد1، دار الثقافة، طرابلس، 2000.
- محمود الصديق أبوحامد، مظاهر الحضارة الفنيقية في طرابلس، مجلد ليبيا في التاريخ، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي1969.

- مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، المطبعة الأهلية، بنغازي،1966.

- نجم الدين غالب الكيب، صبراته في فلك التاريخ ،ط2، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس،1982.

رابعاً- المراجع المترجمة:

- تشارلز دانيلز، الجرمنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ترجمة: أحمد اليازوري، ط1، دار الفرجاني، طرابلس، 1991.

- جون رايت، تاريخ ليبيا منذ أقدم العصور، ط2، ترجمة:عبد الحفيظ الميار،أحمد اليازجي، دار الفرجاني، طرابلس، 1993.

- جيمس ويللارد، الصحراء الكبرى، مكتبة الفرجاني، طرابلس،1967.

- شارل اندريه جوليان، تاريخ افريقيا الشمالية، ترجمة: محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية للنشر، 1978.

- ريموند موني، طرق التجارة عبر الصحراء بين ليبيا ومناطق السافانا في النيجر وتشاد قبل الفتح العربي، مجلة البحوث التاريخية، العدد الأول، السنة الثالثة، 1981.

- فابريتشيو موري، تادرات أكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة: عمر الباروني وفؤاد الكعباري، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس،1988.

- د.ج . ماتنغلي، منطقة طرابلس في العصر الروماني، ترجمة: محمد الحراري ومحمد حيدر، المركز الوطني للمحفوظات، طرابلس 2009.

- د. ي. هاينز، منطقة طرابلس، دار الفرجاني، طرابلس، 1965.

- هنري لوت، الطوارق، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس،1979.

النخب السياسية والعسكرية في إقليمي طرابلس وبرقة ودورها في إبراز سمات الهوية الوطنية

(1912 -1922م)

وليد الهادي محمد معومه

قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية

w.mahoma@asmarya.edu.ly

الملخص:

تهدف هذه الورقة البحثية لدراسة النخب السياسية والعسكرية في إقليمي طرابلس وبرقة، ودورها في إبراز سمات الهوية الوطنية خلال الفترة الممتدة من أكتوبر 1912م وهو تاريخ توقيع معاهدة أوشي لوزان بين الدولة العثمانية والمملكة الإيطالية، لما لها من تأثير على حركة الجهاد الليبي ضد الغزو الإيطالي ، وكذلك في إبراز سمات الهوية الليبية من خلال النخب الوطنية التي حملت على عاتقها مسئولية الدفاع عن الوطن ضد هذاء الاحتلال الإيطالي، وحتى عام 1922م الذي تميز بحراك نخبوي وطني لتوحيد القيادة السياسية والعسكرية بين برقة وطرابلس انتهى بمبايعة السيد محمد إدريس السنوسي أميرًا على البلاد في نوفمبر 1922م.

الكلمات المفتاحية: سمات الهوية الوطنية، النخب السياسية والعسكرية، طرابلس، برقة.

The political and military elites in the egional of Tripoli and Cyrenaica and their role in highlighting the features of national identity (1912- 1922)

Walid ALhadi Maowmah
Department of History, Faculty of Arts, AlAsmarya Islamic University

Abstract: This paper deals with in the egional of Tripoli and Cyrenaica political and military elites, and their role in highlighting the characteristics of the Libyan identity during the period extending from October 1912 AD, which is the date of the signing of the Uchi Lausanne Treaty between the Ottoman Empire and the Kingdom Italian, because of its influence on the Libyan jihad movement against the Italian invasion of Libya, in highlighting the characteristics of identity Libya through the national elites that took upon themselves the responsibility of defending the homeland against the Italian occupation, until the 1922 AD, which was marked by a national elite movement to unify the political and military movement between Cyrenaica and Tripolitania, and ended with the pledge of allegiance to Sayyid Muhammad Idris al-Senussi as Emir of the country in November 1922 AD.

Keywords: Features of national identity, political and military elites, Tripoli, Cyrenaica.

المقدمة:

شهدت ولاية طرابلس الغرب تطورات خطيرة مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين، تجسدت في الغزو الإيطالي للولاية وما تلا ذلك من أحداث عسكرية وسياسية متسارعة أفضت إلى انسحاب القوات العثمانية من الولاية أثر توقيع اتفاقية أوشي لوزان في أكتوبر 1912م، الأمر الذي جعل القيادات والنخب الليبية أمام الأمر الواقع، مِمَّا دفعها لخوض عديد من التجارب السياسية والعسكرية لمحاولة توحيد الصفوف للصمود في وجه الغزو الإيطالي، لذلك ركز البحث على رصد أهم المواقف الوطنية التي اتخذها الزعماء السياسيون والعسكريون الليبيون عقب خروج القوات العثمانية من الولاية، حتى نهاية عام 1922م، الذي مثل قمة الوعي الوطني لدى النخب السياسية والعسكرية الليبية.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية الدراسة في هذا السؤال: هل كان للنخب الليبية دور في إبراز سمات الهوية الوطنية من منطلق المقاومة الوطنية والنضال الوطني السياسي خلال فترة الدراسة؟

فرضية الدراسة:

أدت الظروف السياسية الدولية التي دفعت الدولة العثمانية للانسحاب من ولاية طرابلس الغرب وبرقة ومنحها الاستقلال إلى بروز العديد من الشخصيات الليبية على الأصعدة السياسية والعسكرية التي حاولت على الرغم من قلة الإمكانات، رأب الصدع والوقوف في وجه العدوان الإيطالي على الأراضي الليبية، وتحريرها ونيل استقلالها.

وتعريجًا على ذلك يمكن طرح التساؤلات الآتية:

- كيف استطاع الليبيون الاستمرار في عملية حركة الجهاد دون الحاجة إلى دعم الدولة العثمانية؟
- متى اتضحت الهوية الوطنية الليبية خلال مراحل النضال السياسي والعسكري؟
- ما هي العراقيل التي واجهت حركة الجهاد؟

الإجابة سيبينها الباحث في ثنايا هذه الورقة البحثية بعون الله تعالى.

أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية هذا البحث في كونه يركز على مرحلة مهمَّة من مراحل نضال الليبيين لتحرير وطنهم من الغزاة الإيطاليين، كما قامت النخب السياسية والعسكرية الوطنية خلالها بدور كبير في سبيل توحيد الجهود، وبفضلها تم التصدي للقوات الإيطالية في عديد من المعارك.

الدراسات السابقة ذات الصلة:

لم يصل للباحث دراسة بنفس العنوان تحديدًا، لكن تم الحديث عن هذا الموضوع ضمن دراسات تاريخية اعتنت بتاريخ قضية الهُوية والمواطنة في ليبيا التي تعرضت لها منطقة البحث، منها:

- المختار عمر برطشة، **أزمة الهوية الوطنية في ليبيا وانعكاساتها على الاستقرار السياسي**، مجلة كلية الآداب، جامعة الزاوية، ع 29، ج 2، يونيو 2020م.

- محمد أحمد الكف، **الهوية الليبية (دراسة تحليلية من منظور الجغرافيا السياسية والاجتماعية)**، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، جامعة المرقب كلية الآداب والعلوم بقصر الأخيار، ع 11، يونيو 2021م.

اعتمدت في هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على الوصف والسرد التحليل.

وأما الخطوات المنهجية التي اتبعها الباحث في هذه الورقة البحثية فقد تناولت تمهيد ومحورين **أولهما: مراحل تطور سمات الهوية الليبية بعد معاهدة أوشي لوزان:** وسيناقش الأسباب التي جعلت الدولة العثمانية توقع معاهدة أوشي لوزان. وتضمن خروج الدولة العثمانية من المشهد في ليبيا وترك المجاهدين وحدهم. وما أثر المعاهدة في تصدع صفوف المجاهدين الليبيين.

و**ثانيهما: النخب الوطنية ودورها في رأب الصدع وتوحيد الصفوف عسكريًّا وسياسيًّا.** ويشتمل على تجارب ومحاولات النخب الوطنية لرأب الصدع واعتمادهم على أنفسهم في ساحات المعارك. وستختم الورقة البحثية بعونه تعالى بخاتمة توضح فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث، ومن ثَمَّ إرفاق الورقة بقائمة المصادر والمراجع التي استقت منها المادة العلمية.

والله ولي التوفيق.

تمهيد:

استكملت إيطاليا في عام 1911م استعداداتها لغزو ليبيا من الناحية العسكرية ومن الناحية السياسية، إثر ذلك خرج الأسطول الإيطالي منذ بداية شهر سبتمبر 1911م إلى عرض البحر المتوسط متتبع تحركات الأسطول العثماني، راصدًا كل تحركاته، بغرض منع أية إمدادات عسكرية قد تصل إلى ولاية طرابلس الغرب، التي قل عدد القوات العثمانية فيها، بعد أن تم نقل أغلبها إلى اليمن، بهدف القضاء على الثورة التي نشبت في اليمن ضد الوجود العثماني[1].

وفي نهاية شهر سبتمبر توجه الأسطول الإيطالي نحو الساحل الليبي لفرض الحصار حوله ومنع وصول أية إمدادات أو تحرك للسفن الأجنبية بالقرب منه، وبعد أن أحكمت القوات البحرية الإيطالية سيطرتها على كامل الساحل الليبي، قدمت الحكومة الإيطالية يوم 26 سبتمبر 1911م إنذارًا للحكومة العثمانية تطالبها فيه بالتنازل لها عن ولاية طرابلس الغرب وبرقة. ونتيجة لما كانت تعانيه الدولة العثمانية من ضعف في ذلك الوقت، لم تستطع أن تتخذ موقفًا حاسمًا من هذا الإنذار الإيطالي، ولجأت إلى المراوغة محاولة استرضاء الدولة الإيطالية بأن عرضت عليها مجموعة من العروض، منها:

إن الدولة العثمانية لديها الاستعداد التام لمنح إيطاليا مكانة أولى في التعاملات الاقتصادية بولاية طرابلس، إلاَّ أن الحكومة الإيطالية لم ترضَ عن الرد العثماني، لِمَا لمسته من ضعف في الموقف العثماني، فدفعت بسفنها المحاصرة للسواحل الليبية إلى احتلال بعض المدن وفي مقدمتها العاصمة طرابلس[2].

في الواقع كان موقف الحاميات العثمانية – على قلة عددها– في الولاية متأزمًا، وبخاصة مدينة طرابلس التي لا يتجاوز عدد قواتها ثلاثة آلاف جندي، إلاَّ أن العقيد نشأت باشا[3] قائد تلك الحامية أصر على مواجهة القوات الإيطالية، وكان الأمر في غاية التعقيد لأن الولاية في تلك

---

[1] دريسي ميمونة. رملي خضرة، (2021م)، **ليبيا والحرب العالمية الأولى 1911– 1918م**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة – الجزائر، ص 44–45.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، (1984م)، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، دارف المحدودة، لندن، ط3، ص 50–57.

[3] **نشأت باشا:** ولد في بنغازي وقد عينته الدولة العثمانية ضابط استحكامات في طرابلس الغرب، وقد كان محسوبًا على الاتحاديين. الطاهر الزاوي، مرجع سابق، ص 91.

الأثناء لم يكن بها والٍ، حيث سحبته الحكومة العثمانية قبل الغزو الإيطالي بقليل ولم تعين واليًا بدلاً له ! وهذا ما عده بعض المؤرخين تخاذلاً لأبناء الولاية [1]، ونتيجة لصعوبة الموقف قرر نشأت باشا الانسحاب جنوبًا، حفاظًا لأرواح المدنيين ولكي لا تتعرض المدينة للدمار، إلاَّ أن الانسحاب لم يمنع الإيطاليين من قصف المدينة بداية من ظهر يوم 3 أكتوبر 1911م، حتى يوم 5 أكتوبر 1911م، هذا القصف الذي جوبه برد محتشم من بعض الحصون والقلاع المحيطة بالمدينة، نظرًا لضعف التسليح وقصر مدى المدافع الموجودة بها، فكان ردها تعبيرًا عن رفض الاحتلال، أكثر من أنه دفعٌ له، فقرر نشأت باشا الانسحاب بالحامية ناحية الدواخل في محاولة لإقامة جبهاتها في المواقع الداخلية للمدينة [2].

برهنت الأحداث السابقة عدم استعداد تركيا للحرب، وهو ما أثار موجة من الاستياء ضد حكومة **حقِي باشا**[3] حتى أنها اضطرت إلى الاستقالة، وقد طالب المندوبون الليبيون في مجلس المبعوثان(البرلمان العثماني) بوضع أعضاء هذه الحكومة أمام المسئولية القضائيّة نظير إهمالهم الفاضح الذي جعل ولاية طرابلس الغرب محرومة من وسائل الدفاع الضرورية[4].

ومع انتشار خبر الغزو الإيطالي لأراضي الولاية، وأن مدينة طرابلس تتعرض للاحتلال، وأن القوات العثمانية التي كانت بها باشرت بالانسحاب جنوبًا، أخذ سكان الولاية يتدافعون نحو المدينة للدفاع عنها. ونتيجة لذلك تم إيقاف الانسحاب، وإقناع نشأت باشا على اتخاذ منطقة العزيزية مقرًا لقيادة القوات، وعليه بدأ في تنظيم صفوف المجاهدين المتطوعين للدفاع عن المدينة،

---

[1] محمود الشنيطي، (1951م)، **قضية ليبيا**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،(د. ط)، ص 28.

[2] الطاهر أحمد الزاوي. مرجع سابق، ص 80-81.

[3] **حقِي باشا:** هو رئيس الوزارة العثمانية فترة الغزو الإيطالي لطرابلس الغرب وبرقة، اشتهر بحبه للطليان، وتولى السفارة العثمانية بإيطاليا، حيث قيل عنه بأنه إيطالي الروح، وقد سلك سياسة اللامبالاة أثناء توليه السفارة والوزارة، وغض البصر عن السياسة الاستعمارية الإيطالية تجاه طرابلس الغرب. للمزيد **يُنظر:** موسى بكاكرة، (2019م)، **الأوضاع السياسية في ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي- الجزائر، ص 22؛ الطاهر الزاوي، مرجع سابق، ص 47.

[4] ن. إ. بروشين، (2001م)، **تاريخ ليبيا الحديث من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م**، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط2، بيروت، ص 120-121.

بما يمكنه من السيطرة عليهم وتنظيمهم في تشكيلات قتالية. وقد أنظم إليه **فرحات بك الزاوي**[1] ومن معه من الأعيان لتدبير أمور الجهاد والمجاهدين، ومعه. كما قام نشأت بك بتنظيم سير الحرب وذلك عن طريق تعيين موظفين إداريين: فعيّن محمد بك شلابي[2] قائمقامًا في الزاوية، وعيّن الهادي بك كعبار[3] قائمقامًا في غريان، وموسى بك قرادة قائمقامًا في الجبل الغربي[4].

لقد كان لأعيان ووجهاء البلاد ونوابها في مجلس المبعوثين العثماني أمثال **سليمان الباروني**[5] باشا نائب الجبل، **وفرحات بك الزاوي** نائب طرابلس دورٌ كبيرٌ في استنفار قبائل المنطقة الغربية للجهاد والالتحاق بالقوات العثمانية، كما لحق بهم بعض أهالي الجنوب كالسيد **محمد بن عبد الله البوسيفي**[6] من أولاد أبي سيف[1]، واتخذ **بشير بك السعداوي**[2] من ساحل آل

---

[1] **فرحات بك الزاوي:** هو محمد فرحات الزاوي اشتهر بفرحات الزاوي، ولد بالزاوية ونشأ بها، عينته الحكومة العثمانية قائمقامًا بالشاطئ في فزان، وكان في مقدمة الذين نادوا بالجهاد ضد الغزو الإيطالي، وكان من بين الذين اقنعوا القائد العثماني نشأت بك على التصدي للقوات الإيطالية والتخلي عن فكرة الانسحاب، **للمزيد يُنظر:** الطاهر أحمد الزاوي،(2004م)، **أعلام ليبيا**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 3، ص 306.

[2] **محمد بك شلابي:** هو محمد بن أبي القاسم شلابي، من أعيان بلاعزة الزاوية ووجهائهم، ولد بالآستانة بتركيا، وتعلم في مدارسها، ثُمَّ رجع إلى الزاوية، وعينه نشأت بك في أكتوبر 1911م قائمقامًا في الزاوية، توفي بورفلة في عام 1922م، رحمه الله رحمة واسعة، الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 378.

[3] **الهادي بك كعبار:** من أعيان غريان وساداتها، ولد سنة 1877م، تقلب في وظائف حكومية عدة، ولما وقعت الحرب الطرابلسية سنة 1911م، كان في مقدمة الأعيان الذين دعوا إلى الجهاد وقاموا به، وعيّن قائمقامًا لغريان، واختير عضوًا في هيئة المفاوضات بعد صلح أوشي لوزان سنة 1912م، وعضوًا في مفاوضات صلح بنيادم سنة 1919م، وكان من رجال السياسة والمقاومة حتى قبضت عليه القوات الإيطالية وحكمت عليه بالإعدام في يناير 1923م، وقتل شنقًا، رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 413- 414.

[4] موسى بكاكرة. **مرجع سابق**، ص 32- 33.

[5] **سليمان الباروني:** هو سليمان بن عبد الله الباروني، من الأسر المشهورة في جبل نفوسه، وزعيم من زعماء طرابلس، انتخب عضوًا في مجلس المبعوثان عن طرابلس سنة 1910م، وكان في مقدمة المجاهدين أبان الغزو الإيطالي لطرابلس سنة 1911م، وله مواقف مشهودة في الجهاد الطرابلسي السياسي والعسكري، وبعد تغلب الطليان على الطرابلسيين في سنة 1922م، هاجر إلى الشرق، وبقي في العراق عدة سنين، ثُمَّ سافر إلى الهند= =وهناك وافاه الأجل في 1 مايو 1940م. رحمه الله رحمة واسعة. الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 173- 174.

[6] **محمد بن عبد الله البوسيفي:** من أعيان أولاد أبو سيف ووجهائهم، قدم إلى طرابلس وانظم إلى صفوف المقاومة منذ بداية الغزو الإيطالي، وشارك في معارك عدة، واستشهد في معركة المحروقة 13 ديسمبر 1913م، رحمه الله. الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 340.

حامد مركزًا له يرسل منه الدعوات إلى القبائل ويحثهم على الجهاد[3]، وكان لغيرهم من الشيوخ والأعيان الفضل الكبير في توحيد صفوف المقاومة، رحمهم الله برحمته الواسعة.

وفي ذات السياق أخذت القوات الإيطالية التي نزلت إلى الشاطئ غرب المدينة تُشكل نقاط ارتكاز للقوات الإيطالية، وإقامة خط دفاع هلالي حول المدينة. وفي يوم 11 أكتوبر 1911م باشرت القوات البرية الإيطالية بقيادة الجنرال كانيفا في النزول إلى المدينة والانتشار حولها لأحكام قبضتها عليها[4].

والجدير بالذكر أن طرابلس لم تكن الهدف الوحيد لإيطاليا، ففي الوقت الذي كانت القوات الإيطالية تقصف مدينة طرابلس، كانت هناك سفن أخرى تباشر قصفها لمدينة طبرق وحصونها البسيطة في 4 أكتوبر، وكانت طبرق أول بقعة من ليبيا تطؤها أقدام جنود الاحتلال الإيطالي، لما تمثله من أهمية على الساحل الشرقي من ليبيا، وللحيلولة دون تهريب الأسلحة. وفي يوم 16 أكتوبر باشرت القوات الإيطالية قصفها لمدينة درنة الذي استمر حتى يوم 17 أكتوبر، بعد أن عجزت الحامية العثمانية عن مواصلة القتال مِمَّا دفعها للانسحاب في اليوم التالي، كما بدأت القوات الإيطالية قصف مدينة بنغازي أيام 18، 19،20 أكتوبر 1911م، بعدما تحولت المواقع الدفاعية إلى ضواحي بنغازي، وكونت ما يشبه الطوق المحاصر المواجه للقوات الإيطالية التي ظلت حبيسة هذا الطوق، عدة أشهر[5].

---

(1) محمود الشنيطي. مرجع سابق، ص 49- 50.

(2) **بشير بك السعداوي:** ولد بمدينة الخمس في أواسط عام 1884م، في بداية تعليمه درس في كتاب الزاوية السنوسية بسرت، ثُمَّ تلقى تعليمه الحديث في المدرسة الرشدية بمدينة الخمس، وتخرج منها عام 1904م عُيِّن من قبل الحكومة التركية كاتب تخزين في ليبيا، ومفتشًا على الأعشار، ثُمَّ مفتشًا في مصلحة الإحصاء، وفي عام 1908م عُيِّن كاتبًا أولاً لمجلس الإدارة في الخمس، وفي عام 1909م أستلم مهام إدارة التحريات في مدينة طرابلس، ثُمَّ قائمقام في ساحل الأحامد= =وفي عام 1912م هاجر إلى الشام للبحث عن مجالاً أوسع للعمل على قضية تحرير بلاده، ومنها إلى اسطنبول في يناير 1913م، تقلد خلال هجرته عدة وظائف في الدولة العثمانية. **للمزيد يُنظر:** أميرة حسين، (2013م)، **بشير السعداوي 1884- 1957م ودوره في المقاومة الليبية**، مجلة ذي قار، مجلد 3، ع 10، 30 حزيران/ يونيو، ص 237.

(3) موسى بكاكرة. مرجع سابق، ص 32.

(4) خليفة محمد التليسي، (1983م)، **معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931م**، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ص 26.

(5) خليفة محمد التليسي، مرجع سابق، ص 26- 28.

دفع التقدم الإيطالي شرقًا إلى تدافع وتنظيم قوات المجاهدين نحو مدينة درنة، حيث تجمع المجاهدون وتحصنوا بالمرتفعات الجبلية التي تشرف عليها ، وقد وفد على هذا التجمع كثير من رجال المنطقة ومشايخها[1]، وقام **الشيخ أحمد العيساوي** ممثل السنوسية في برقة ووكيل زاويتها بإرسال الكتب إلى شيوخ الزوايا القريبة يطلب منهم دعوة المجاهدين إلى القتال، والالتحاق بالقوة العثمانية التي اتخذت **الرجمة** مقرًا لها، ولم يلبث شيوخ الزوايا أن انضموا إليها وعلى رأسهم السيد عمر المختار[2] شيخ زاوية القصور. ومن جهة أخرى أرسلت الدولة العثمانية عددًا من الضباط والجنود إلى برقة وطرابلس، ودخلوا إلى برقة عن طريق مصر تسللاً ، ومن أشهر هؤلاء الضباط الأتراك: أنور باشا[3]، ومصطفى كمال أتاتورك[4]، وعزيز علي المصري[5]. وقسمت الجبهة إلى ثلاث مناطق، بنغازي بقيادة عزيز المصري، وطبرق بقيادة أدهم باشا الحلبي، ودرنة بقيادة أنور

---

(1) المرجع نفسه، ص 229.

(2) **عمر المختار**: هو السيد والمجاهد الكبير الشيخ عمر بن المختار من قبيلة المنفة، ولد بالبطنان ببرقة سنة 1860م، وحفظ القرآن الكريم في زاوية الجغبوب، وتولى إدارة زاوية القصور السنوسية بالجبل الأخضر، وكان في مقدمة المجاهدين عندما غزا الطليان بنغازي في أكتوبر 1911م، وكان له صولات وجولات في ميادين الجهاد، حتى وقع أسيرًا في أيدي الطليان بعد أن قُتل جواده وجرح هو، وحكم عليه بالإعدام شنقًا يوم 16 سبتمبر 1931م، رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 291- 292.

(3) **أنور باشا**: جنرال تركي ولد باستانبول سنة 1881م، تحرج من المدرسة الحربية سنة 1899م، أرسلته الدولة العثمانية لتولي قيادة عملية الجهاد في المنطقة الشرقية من ليبيا، وتولى بعدها عدة مناصب، منها وزير الحربية في سنة 1914م، **للمزيد يُنظر**: مصطفى علي هويدي،(1988م)، **الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى**، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، ص 30.

(4) **مصطفى كمال أتاتورك**: هو أول رئيس لجمهورية تركيا، وقد قام بإلغاء الخلافة، واستبدال بالأحرف العربية الأحرف اللاتينية. محمود شاكر،(1972م)، **ليبية**، الدار العلمية، بيروت، ص 42.

(5) **عزيز المصري**: قائد عسكري من طلائع رجال الحركة الحربية، من أصل عراقي، ولد في القاهرة، وتخرج في مدرسة أركان الحرب بأسطنبول سنة 1907م، تطوع للجهاد مع المجاهدين ضد الاحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911- 1913م، وطرد من الجيش التركي سنة 1914، وحكم عليه بالإعدام ولم ينفذ فيه، ثُمَّ رجع إلى مصر، واشترك في تأسيس الجمعيات السرية العربية قبل الحرب العالمية الأولى، اشتهر بكراهيته للإنجليز كما شارك كذلك في حرب فلسطين 1948، وتوفي عام 1965م. **للمزيد يُنظر**: أبو بكر خليفة شليق،(2011م)، **المجاهد أحمد الشريف السنوسي حياته ونضاله 1873- 1933م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة أم درمان الإسلامية، ص 76؛ محمود شاكر، مرجع سابق، ص 44.

باشا، وعُيِّن أشرف باشا قائدًا لقوات المجاهدين، ومقر قيادتهم جنوبي درنة[1]. وقد شكل هذا التجمع وغيره من التجمعات على طول الساحل الليبي نقاط مقاومة ضد الغزو الإيطالي. وقد دارت في الثلث الأخير من شهر أكتوبر ثلاث معارك كبرى، عبرت على تصميم أبناء الوطن على المقاومة وطرد الغزاة الطليان وهي:

معركة جليانة 18/ 19 أكتوبر 1911م.

معركة الهاني (شارع الشط) 23 أكتوبر 1911م.

معركة المرقب 23 أكتوبر 1911م[2].

على الرغم من احتلال إيطاليا للعديد من المدن الساحلية الليبية، إلاَّ أنها لمست إصرارًا من المجاهدين على مواصلة القتال ضد الغزو، وبخاصة بعد تعرض قواتها لخسائر فادحة في المعارك الثلاث السالفة الذكر. لتتبع القوات الإيطالية ما يعرف بالحرب الشاملة التي لا تفرق بين مدني وعسكري، وقتل جماعي تحت مبرر الانتقام من خيانة السكان وفقًا لوجهة النظر الاستعمارية الإيطالية[3].

وفي ذات السياق أدركت الحكومة الإيطالية بأن الحل العسكري قد يتعرض للفشل، وقد يدفع بعض الدول الكبرى طمعًا في احتلال المنطقة أو بحجة المحافظة على التوازن الدولي، إلى التدخل وإنهاء العمليات العسكرية على الأراضي الليبية، لذا أعلنت إيطاليا في 5 نوفمبر 1911م عن ضم طرابلس للسيادة الإيطالية، واضعة الدولة العثمانية والدول الكبرى أمام الأمر الواقع[4].

وبناءً على ذلك لم يعد أمام الدولة العثمانية إلاَّ مواصلة القتال بجانب الليبيين للدفاع عن وطنهم، وأمام التصعيد العسكري توقفت المساعي السياسية من قبل كل الأطراف التي كانت ترغب في إنهاء المسألة الليبية بالعمل السياسي، وفي هذه الأثناء توثقت عرى الصداقة والتعاون بين السنوسية والقيادة العثمانية في الشرق، فإمام السنوسية السيد **أحمد الشريف**[5] كان موجودًا في

---

[1] مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 30.

[2] خليفة محمد التليسي، **مرجع سابق**، ص 27-30.

[3] عقيل محمد البربار،(2009م)، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث**، دار الحكمة، طرابلس- ليبيا، ط2، ص 159.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 107.

[5] **أحمد الشريف:** هو أحمد بن محمد الشريف السنوسي ولد بواحة الجغبوب سنة 1873م، وأخذ العلم بزاوية الجغبوب عن أساتذتها. تسلم زعامة السنوسية من عمه المهدي في 19 يونيو 1902م، ولما احتل الطليان البلاد عام 1911م، تقدم للجهاد واجتمع الناس عليه، وناصب الطليان العداء وحاربهم حربًا لا هوادة فيها. سافر إلى

الكفرة عند بداية الغزو الإيطالي، ولم يتدخل إلاَّ في نهاية سنة 1911م، وذلك عندما عمم منشورًا في 17 ديسمبر 1911م، يدعو فيه الناس لإعلان الجهاد، وقد نقش منشور **السيد أحمد** أو نداؤه على راية من الحرير حملها المجاهدون من مكان لآخر بين القبائل الضاربة في الجنوب خصوصًا، فكان من أثر هذا النداء أن تدفقت جموع المجاهدين والمتطوعين إلى معسكرات العثمانيين، وأدان **الشريف** العدوان وحث الناس على الوقوف ضده ومحاربته بكل الطرق والوسائل [1]. كما نظم العمل الجهادي وذلك عن طريق تحديد الفئة العمرية والتي أوجب عليها الجهاد، حيث أمر كل عربي يبلغ سن الرابع عشر من عمره إلى غاية الخامسة والستين، وأجب عليهم جميعًا الخضوع لنائب السلطان أنو باشا[2]، وقد كانت وحدات المجاهدون موزعة على القبائل، بحيث تعرف كل قبيلة ما عليها من الرجال والمال، إلاَّ أن هذه الفرق القبلية لم تكن دائمًا من رجال القبيلة فحسب، بل كان يدخلها المتطوعون من السودانيين والطرابلسيين ومعظم العرب، وكان في كل فرقة أو دور قائد للقتال، وقائمقام للأمور المدنية، وقاضي شرعي، وعدد من المساعدين لهؤلاء، وبعض الضباط[3].

واستمرت الجبهة الوطنية المتحدة قوية وتشن الهجومات المكثفة على الإيطاليين، وكانت علاقة **أحمد الشريف بأنور بك** علاقة قوية ومحترمة، وكانت هناك مرسلات عدة بينهما، ففي أبريل 1912م بعث أحمد الشريف برسالة إلى أنور بك، يظهر فيها تأييده للدولة العثمانية، ويشكر أنور كثيرًا لجهاده وقتاله للطليان، ويذكر أنور بك في مذكراته أن رسالة وصلته في أوائل يوليو من السيد الشريف يشكره فيها على جهوده وجهاده، ويحثه على المزيد ويدعو الله لنصرة الإسلام وقهر أعدائه الإيطاليين[4].

الأستانة في أكتوبر 1917م، ومنها انتقل إلى مكة، ثُمَّ إلى المدينة وتوفى بها في عام 1932م، وبها دفن. **للمزيد يُنظر:** سعاد محمد البكوش،(2015م)، **دور أحمد الشريف السنوسي في حركة المقاومة الليبية ضد الإيطاليين خلال الفترة 1911- 1918م**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المرقب، ع 11، سبتمبر، ص 15-16؛ الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 80- 81.

[1] مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 32.

[2] موسى بكاكرة، مرجع سابق، ص 30- 31.

[3] مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 33.

[4] المرجع نفسه، ص 33.

لقد كان لجهود السيد أحمد الشريف التي قام بها لمعاضدة الدولة العثمانية، والمتمثلة في انضمام المجاهدين إلى صفوف القوات العثمانية والانخراط تحت لوائها والامتثال لها وخوض المعارك معها، بالغ الأثر لدى العثمانيين، حيث أوجد لديهم ارتياحًا وقبولاً حسنًا لشخص السيد أحمد والمجاهدين، وقد اعترف السلطان العثماني نفسه بهذه الجهود المبذولة في سبيل تخليص الأقطار الليبية وتحريرها، فأهداه في شهر مارس 1912م سيفًا ونيشانًا مرصعًا بالجواهر مكافأة للسيد أحمد وتقديرًا لجهوده[1].

ولم يمضِ وقت طويل حتى أعلنت إيطاليا قرارًا رسميًّا بضم إقليمي برقة وطرابلس لإيطاليا في 25 فبراير 1912م، إلاَّ أن ذلك لم يؤثر في الموقف السياسي أو العسكري بل اشتدت المقاومة الوطنية، وأحكم المجاهدون الحصار على القوات الإيطالية في المدن التي احتلتها على طول الساحل، ولم تسفر محاولات الإيطاليين في النفاذ إلى الداخل عن نتائج، بسبب المقاومة العنيفة من القبائل الليبية[2].

وفي ظل تلك المؤشرات وبعد أن واجهت القوات الإيطالية مقاومة عنيفة وعجزت عن بسط سيطرتها على كامل التراب الليبي، رأت من الأفضل محاربة الدولة العثمانية في مناطق أخرى تابعة لها حتى تجبرها على الإسراع في تسليم ولاية طرابلس الغرب وبرقة، وتوقيعها على معاهدة الصلح. لذا قررت أن تهاجم الدولة العثمانية في مراكزها الضعيفة، ففي 24 فبراير 1912م قامت القوات البحرية الإيطالية بمهاجمة ميناء بيروت وأغرقت بارجتين تركيتين، وفي منتصف شهر إبريل 1912م، قامت القوات الإيطالية بمحاصرة الشواطئ اليمنية بالبحر الأحمر وقصف ميناء الحديدة والصليف، والقنفذة، كما عملت على تسيير دوريات بحرية في البحر لمنع عبور القوات العثمانية إلى مصر والسودان ثُمَّ إلى ليبيا، ومنع حركة النقل العثماني المهرب عبر السواحل الشرقية للبحر الأحمر[3]. فتوجهت نحو بحر إيجه وبالتحديد في جزر الدوديكانيز التي تشتمل على اثنتي عشر

---

[1] محمد فؤاد شكري، (1948م)، **السنوسية دينٌ ودولة**، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 137.

[2] ن. إ. بروشين، مرجع سابق، ص 139– 144.

[3] سالم فرج السويدي. ونعيمة عمر الجابر،(2021م)، **أثر اتفاقية أوشي لوزان 15 أكتوبر 1912م على حركة الجهاد في ليبيا**، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة سبها، المجلد 20، عدد 1، ص 66.

جزيرة، ففي 4 مايو 1912م قامت أساطيل إيطاليا باحتلالها، ثُمَّ قامت بتهديد مدخل الدردنيل، بهدف توسيع رقعة الحرب وتشتيت القوات العثمانية [1].

المبحث الأول : مراحل تطور سمات الهوية الليبية بعد معاهدة أوشي لوزان.

منذ أن ذاعت إشاعات الصلح إلى مسامع المجاهدين، وبالرغم من أن هذه الإشاعات لم تؤيد بما يثبت صحتها عند رؤساء المجاهدين، فقد كان لها في نفوسهم أسوأ الأثر واحتجوا عليها لدى مجلس المبعوثان بتلغراف أرسلوه إلى الآستانة في 15 ديسمبر 1911م وقعه عنهم الشيخ سليمان الباروني. وهذا نصه بعد الديباجة:

((لا نرضى بصلح يخل بعثمانيتنا ويجعل للعدو أي مدخل في بلادنا ولو أبرمته الدولة ورضيه الخليفة. ونحن إلى الآن نحارب باسم العثمانيين والطرابلسيين، فإذا أبرم الصلح على ما لا يرضينا أمكننا مداومة الحرب باسم الطرابلسيين فقط إلى آخر قطرة من دمائنا. ولا يوجد بيننا متقاعد عن الحرب أو ميّال إلى العدو أو مسالم له قط. وقد أوجبنا الحرب على كل قادر بدون استثناء. ولا دخل في ذلك للترك أصلاً... وما دامت الدول العظمى ملتزمة الحياد فإننا نحارب باسم دولتنا ووطننا، ومتى ظهر منها الوقوف في طريق انتصاراتنا وقوفًا غير مشروع فإننا نعدّ ذلك منها تعصبًا وإذا سنحارب باسم الدين فقط)) [2].

لقد أبرز هذا الاحتجاج الطرابلسي الهوية الوطنية التي كثيرًا ما حرصوا على عدم إبدائها في سبيل الانصهار في بوتقة الدولة العثمانية، كما بين إمكانية اللجوء إلى جمع الإمكانات المتاحة والدفاع عن الوطن باسم الدين لا باسم الدولة.

وكذا الحال في الشرق الليبي فعندما تناهت إلى مسامع المجاهدين أبدوا تخوفهم وقلقهم من تلك الإشاعات التي مفادها أن الدولة العثمانية أمام ظروفها الصعبة مقبلة على إجراء صلح مع الإيطاليين، ستتوقف عن حربها في ولاية طرابلس الغرب، وهو ما دفع السيد **أحمد الشريف** أن يبعث برسالة إلى أنور بك، ذكر له فيها ما سمعه، وأبدى مخاوفه من ذلك، وأكد له إصرار المجاهدين على مواصلة الجهاد ولو تصالحت الدولة العثمانية مع الإيطاليين، وأنه والصلح على طرفي نقيض [3].

---

[1] محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص 142- 143.

[2] الطاهر أحمد الزاوي، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، ص 140-141.

[3] مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 39.

وعلى كل حال ففي 18 أكتوبر 1912م، وقع الطليان والعثمانيون معاهدة الصلح في **أوشي لوزان**. وبمقتضاها تعهدت الدولتان بإيقاف الحرب وتعهد العثمانيون بسحب ضباطهم وجيوشهم وموظفيهم المدنيين من طرابلس. كانت هذه المعاهدة ذات وجهين في من جهة تقر السيادة الإيطالية على طرابلس وفقًا للمنشور السابق للملك الإيطالي الصادر في يوم 25 فبراير 1912م، القاضي بجعل طرابلس الغرب وبرقة تابعتين للسيادة الملكية الإيطالية. ومن جهة أخرى احتفظت الدولة العثمانية بروابط تربطها بطرابلس تتمثل في تعيين نائب للسلطان يرعى المصالح العثمانية وتدفع الدولة راتبه. وقد ورد ذلك في الملحق الأول للمعاهدة [1].

وكأن المصائب لا تأتي فرادى، حيث قام السلطان العثماني (محمد الخامس 1909-1918م) في 16 أكتوبر 1912م وقبل التوقيع على معاهدة الصلح بإصدار فرمان يقضي باستقلال ولاية طرابلس الغرب وبرقة[2].

كان نبأ توقيع اتفاقية الصلح مُفاجأة صعبة بالنسبة للمجاهدين الليبيين، خاصة وأن ذلك الصلح تم في وقت كانوا فيه يضيقون الحصار على الإيطاليين. والأمر من ذلك هو تغييب أبناء البلاد عن الاتفاق ولم يؤخذ برأيهم في الموضوع، ولم تتح لهم فرصة المشاركة في تقرير مصير بلادهم. ومن جهة أخرى جاء الاستقلال الذاتي الذي منحه السلطان العثماني لأهل البلاد ناقصًا متناقضًا مع واقع الأمر، حيث أن القوات الإيطالية كانت تحتل المناطق الساحلية وتسعى لمد نفوذها نحو المناطق الداخلية[3].

ومِمَّا زاد الموقف فتورًا مجئ **شمس الدين باشا**، وكان هذا قد نصبه السلطان العثماني نائبًا عنه في طرابلس الغرب للدفاع عن المصالح العثمانية، وقد عمل على تشجيع التفاوض والتسليم لطليان، وكان رأيه وفقًا لما جاء في خطابيه أن فيهما صلاح من في هذه البلاد من المسلمين خاصة أو من في سائر الأقطار منهم عامة [4].

---

[1] محمود الشنيطي، مرجع سابق، ص 52- 53.

[2] السويدي، والجابر، مرجع سابق، ص 69.

[3] المرجع نفسه، ص 69.

[4] أحمد عطية مدلّل، (1989م)، **المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها 1914-1915م**، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، ص 28- 29.

لقد وضعت هذه الأحداث المتسارعة النخب السياسية والعسكرية الليبية أمام الأمر الواقع، وأمام خيارات صعبة، خاصة أن خروج الدولة العثمانية من ليبيا أحدث فراغًا سياسيًا كبيرًا في البلاد، وفتح المجال أمام ظهور وتعدد الزعامات المحلية، مِمَّا أدى إلى حدوث تصدع في الجبهة الداخلية، وبخاصة في المنطقة الغربية.

وتمثل أول هذه الاختبارات عندما دعا نشأت بك قائد القوات العثمانية في طرابلس زعماء المجاهدين في المنطقة الغربية لعقد اجتماع بالعزيزية تُقرر فيه الآراء في صورة عامة، وتطبق فيه الترتيبات لراحة الأهالي وحمايتهم حسب قوله، ومن بين المجتمعين: **سليمان الباروني**، و**مختار كعبار**[1]، و**الهادي كعبار**، و**أحمد المريّض**[2]، و**فرحات الزاوي**. وغيرهم من زعماء حركة الجهاد. غير أنه لسوء الحظ لم يسفر مؤتمر العزيزية عن قرار إيجابي لمصلحة المقاومة. إذ سرعان ما دب الخلاف بين أعضاء المؤتمر، وانقسم الزعماء المحليون على أنفسهم واختلفوا حول مسألة استمرار حركة الجهاد والوقوف ضد الإيطاليين. ومن هنا نشأت فكرتان أو فريقان على المسرح السياسي في المنطقة الغربية كل فريق نظر إلى القضية من زاوية تختلف عن الآخر:

الفريق الأول: مال إلى السلم والتقدم إلى الطليان بطلب تنفيذ المعاهدة، والدخول معهم في مفاوضات لتكميل ما عساه أن يكون في معاهدة أوشي لوزان من نقص، وكان من أنصار هذا الفريق **الهادي كعبار**، و**علي بن تنتوش**، و**فرحات الزاوي**، وهؤلاء الزعامات يمثلون العناصر والمدن الساحلية الفاعلة، مثل الزاوية وورشفانة وغريان ومصراتة. وقد فضل أنصار هذا الفريق

---

(1) **مختار كعبار**: ولد في مدينة غريان 1879م، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم، ثُمَّ التحق بمكتب الرشدية بطرابلس، ثُمَّ سافر إلى تركيا لاستكمال دراسته، وبعد تخرجه عاد إلى طرابلس فعين سكرتيرًا خاصًا للمشير رجب باشا في طرابلس حوالي 1906م، ثم عاد في نفس السنة إلى الآستانة وعُين في معية متصرف أزمير... وفي سنة 1911م، انتخب عضوًا عن طرابلس في مجلس النواب التركي المبعوثان... ولما اشتدت الحرب وتطورت رجع إلى طرابلس، وقد كانت له صولات وجولات في ميادين السياسة والجهاد، وتوفي رحمه الله في القاهرة في 20 يناير 1947م. الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 392– 393.

(2) **أحمد المريّض**: هو أحمد بن علي المريّض، رئيس ترهونة، ومن رجالات طرابلس المعروفين، وكان من المقدَّمين في إدارة الأمور في جميع أدوار الجهاد في طرابلس، وكان عضوًا في الجمهورية الطرابلسية حينما أسست سنة 1918م، وتولى رئاسة مؤتمر غريان 1920م، ورئاسة هيئة الإصلاح المركزية التي انتخبها مؤتمر غريان في هذه السنة، ثُمَّ هاجر إلى الفيوم بمصر بعد أحداث عام 1924م، وتوفى هناك في6 فبراير 1940م. رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 125.

العدول عن المقاومة والتسليم بالأمر الواقع؛ وذلك **بسبب** عجز طرابلس عن الاستمرار في مواجهة قوة إيطاليا الاستعمارية، التي لم تصمد أمامها الدولة العثمانية، وتجنيب البلاد والعباد كوارث الاستمرار في الحرب مع قلة الإمكانات العسكرية والمادية، وبخاصة مع بدأ انسحاب القوات العثمانية النظامية تنفيذًا لبنود الصلح، وعدم ضمان انتظام الإعانات التي كانت ترد إليهم من الولايات القريبة[1].

الفريق الثاني: على رأسه **سليمان الباروني** و**محمد سوف المحمودي**[2]، **ومحمد بن عبد الله البوسيفي**، و**أحمد البدوي الأزهري**[3]، و**أحمد السني**، فقد قرروا الاستمرار في المقاومة حتى الاعتراف بالاستقلال الذي منحه السلطان العثماني للبلاد، ورأى هؤلاء في وجوب المفاوضة مع الإيطاليين ومنح الاستقلال أمرًا ممكن الحدوث، وفي حملهم السلاح ما يشعر الإيطاليون بقوتهم أثناء التفاوض، وبالثبات في خط النار ومخاطبة الإيطاليين على شروط تنفع البلاد، وإذا رفض الإيطاليون فعلى أهل البلاد تضييق الخناق حتى يمكن الوصول لغاية تنفع أهل البلاد. وقد ارتحلت زعامات هذا الرأي صحبة رؤساء المحلات نحو منحدرات الجبل الغربي لتتخذ من مرتفعاته ومدنه مقرًا لها[4].

لقد كان الإيطاليون أول المرحبين بهذا الانقسام حيث عجلوا بسرعة اللقاء مع زعامات وأعيان الفريق الأول، وذلك من خلال الاجتماع بهم في فندق بن غشير يوم 2 نوفمبر 1912م، وخلاله استغلت إيطاليا ظروف المفاوضات أسوأ استغلال، حيث قصدت عنوة أن تطيل عمر المفاوضة ولم تعمل على إنهائها بالصورة المستعجلة خدمة للأغراض عدة، منها: استقطاب أكبر عدد ممكن من الأعيان ومشايخ المحلات؛ لتقوية أنصار الاتجاه المؤيد للتفاوض معهم، ولتستغل نفوذهم في

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي. **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 161- 162.

(2) **محمد سوف المحمودي:** هو حفيد غومة المحمودي، من قبيلة المحاميد المشهورة في طرابلس الغرب. ولد في وادي سوف بالجزائر سنة 1858م، اشترك في محاربة الغزو الإيطالي من سنة 1911م إلى 1923م، ثُمَّ سافر إلى مصر واستقر به المقام في قرية المتراس من ضواحي الإسكندرية، وفيها توفي يوم 15 يوليو 1930م، ودفن بها، رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 376- 377.

(3) **أحمد البدوي الأزهري:** هو أحمد بن محمد الأزهري من قبيلة الزنتان وأحد أعيانها، ولد سنة 1875م، وكان أحد أعضاء مؤتمر السعداوي البارزين سنة 1949م، وفي آخر عمره أقام بمزدة وتوفي بها سنة 1953م. رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 74.

(4) أحمد عطية مدلّل، مرجع سابق، ص 33- 34.

تهدئة الموقف المعادي لها في الداخل. ومن جهة أخرى هدفت إيطاليا إلى زرع الفتنة بين الزعماء الوطنيين تطبيقًا لسياسة فرق تسد. وقد كان لها هذا، ففي الوقت الذي حرص فيه الزعماء المناصرين لهذا الاتجاه على التمسك بالاستقلال الذي منحه السلطان لهم، ومحاولة تجنيب بلادهم ومدنهم ويلات الحرب، فإن إيطاليا استفادت من تلك الظروف بما يخدم مصالحها ودخلت العديد من المناطق الساحلية والجبلية فاحتلتها دون عناء يذكر[1].

وعلى النقيض من ذلك اتفق أنصار الفريق الثاني على تشكيل حكومة وطنية بالجبل الغربي في ديسمبر 1912م، برئاسة سليمان الباروني واتخذوا من مدينة يفرن عاصمة لها، وكانت حدودها تشمل ورفلة والمناطق الجنوبية من ليبيا إلى فزان وغات، وفي المنطقة الساحلية ابتداءً من العجيلات إلى الحدود التونسية[2]. وعمل السيد سليمان الباروني على تشكيل جهازه الإداري فعيَّن المتصرفين، والقائمقامين، والقضاة. كما أسس جيشًا دائمًا من المشاة والخيالة، أقام الارتباط البريدي والتلغرافي في المناطق الداخلية. وعمل على مراسلة الدول الكبرى وإبلاغها بحكومته الجديدة، بغية نيل الاعتراف منها والدعاية لها [3]، إلاَّ أن هذه المحاولة لم تجدِ نفعًا؛ لأن هذه الدول قد أحاطت الحكومة الإيطالية في 19 أكتوبر 1912م، علمًا باعترافها رسميًّا بضم الممتلكات التركية في شمال أفريقيا(طرابلس الغرب وبرقة) [4].

إلاَّ أن هذه الحركة الوطنية واجهة صعوبات عدة أنهكت قواها وأدت بالتالي إلى نهايتها، فالأموال التي كانت تدفع كمرتبات للموظفين والجنود، ولتوفير المؤن والعتاد، أو لمساعدة ضحايا الحرب، أخذت تنضب بعد خمسة شهور من إعلان الصلح، مِمَّا دفع سليمان الباروني إلى جباية الزكاة من ميسوري الحال القاطنين في نطاق حكومته، ولما كان الإيطاليون على علم تام بتلك المصاعب فإنهم بدأوا بشن هجومهم الواسع على المدن والمناطق الداعمة لهذه الحكومة، بهدف قطع خطوط الإمداد وتضيق الخناق عليها [5].

---

[1] أحمد عطية مدلّل، مرجع سابق، ص 32- 33.

[2] السويدي، والجابر، مرجع سابق، ص 69.

[3] محمود الشنيطي، مرجع سابق، ص 52- 55.

[4] ن. إ. بروشين، مرجع سابق، ص 144.

[5] الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 168.

وعلى الرغم من ذلك لم ييأس المجاهدون فقرروا مواجهة العدو الذي بدأ هجومه العام في 23 مارس 1913م، في معركة كُبرى عُرفت بمعركة الأصابعة أو جندوبة، في جنوب غرب مدينة غريان، انتصر فيها المجاهدون في البداية إلاَّ أن الإمكانات العسكرية مكنت القوات الإيطالية من السيطرة على المرتفعات المطلة على مراكز المجاهدين[1]، وراح الإيطاليون يقصفون المجاهدين بسلاح المدفعية، فدخلوا يفرن في 27 مارس وقد حاول بعض المجاهدين الانسحاب إلى نالوت بهدف اجتياز الحدود وطلب الملجأ في تونس، وعبر الشيخ سليمان الباروني والشيخ عون سوف[2] ومحمد عبد الله البوصيري الحدود رفقة المجاهدين، ودخلوا تونس في 9 أبريل 1913م، ثُمَّ انتقل سليمان الباروني، فيما بعد إلى استانبول[3].

أما موقف السيد أحمد الشريف والمجاهدون في المنطقة الشرقية بعد توقيع الدولة العثمانية لمعاهدة أوشي لوزان فكان يدل على الاستنكار أيضًا، لما لها من أثارًا سلبية على حركة المقاومة الوطنية، حيث أرسل رسالة إلى أنور باشا، جاء فيها: " نحن والصلح على طرفي نقيض ولا نقبل صلحا بوجه من الوجوه، إذا كان ثمن الصلح تسليم البلاد إلى العدو". وزيادة على ذلك فقد حذره مِمَّا سوف يحدثه ولا شك قبول الصلح في نفوس المسلمين في جميع الأقطار من نفور شديد من الدولة العثمانية [4].

وقد زار أنور باشا أحمد الشريف في الجغبوب حين استدعته حكومته، وأخبره بأنه ترك القيادة بعده لعزيز المصري، وأبلغه أوامر السلطان العثماني، وهي: ((إسناد أمر الأمة الليبية إلى سيادته وإخباره بأن الخليفة قد منح الأمة الطرابلسية استقلاله تاركًا لها الحق في أن تقرر مصيرها وتدافع عن نفسها)) [5]. وقد أسر أنور للسيد أحمد بأن الدولة العثمانية لن تتخلى عن البلاد بصورة

---

(1) أحمد عطية مدلّل، **مرجع سابق**، ص 46- 47.

(2) **عون بن محمد سوف** : حضر الجهاد في طرابلس منذ بداية الغزو الإيطالي، وهاجر سنة 1913م إلى بلاد الشام، وعاد في سنة 1920م، وكان في مقدمة المجاهدين في سنة 1922م، وقد تولى قيادة المجاهدين في معارك عدة. ولما تغلب الطليان سنة 1923م هاجر مع والده إلى مصر سنة 1924م، وقد توفي في 14 أغسطس 1947م ، ودفن بطرابلس بمقبرة منيذر. رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 295.

(3) ن. إ. بروشين، مرجع سابق، ص 148.

(4) محمد فؤاد شكري، مرجع سابق، ص 142.

(5) المرجع نفسه، ص 146.

نهائية، هذا ولم يطلب السيد أحمد شيئًا من ضيفه سوى مساعدته بالأسلحة والذخيرة[1]. كما ذكر له قائلاً: ((سنكافح طوال الفترة التي ستكون المقاومة في صالحنا ولا تأسفوا أبدًا إذا كانت هناك أسباب أخرى حتمها القدر عليكم لتبتعدوا عن ساح الوغى، لقد أديتم واجبكم بصورة ستصبح منارًا للأجيال القادمة، وما علينا إلا أن نرضى بالقدر)) [2].

وفي ضوء ذلك أسس أحمد الشريف حكومة لسد الفراغ الذي ترتب عنه انسحاب العثمانيين وجعل شعارها (الجنة تحت ظلال السيوف)، لقد زادت معاهدة الصلح من عزيمة وإصرار أحمد الشريف على مجابهة ومقارعة العدو، إذ أنه انتقل من مركزه بالجغبوب إلى الجبل الأخضر، وأخذ يزيد من عزيمة المجاهدين ويثبتها، حيث وقعت أعنف المعارك، كان أبرزها معركة يوم الجمعة التي وقعت في 16 مايو 1913م، التي اندحر فيها الإيطاليين وفشلوا في احتلال الجبل الأخضر [3].

وفي أواخر سنة 1913م ظهرت مشكلة جديدة تتمثل في الخلافات بين أحمد الشريف وبعض الضباط الأتراك وعلى رأسهم عزيز علي المصري الذي أبلغ السيد أحمد عزمه على الرحيل عن برقة، ووعده بتسليمه السلاح والذخيرة بعد أن يجتاز حدود القطر الليبي إلى الأراضي المصرية، وكان موضوع تسليم الأسلحة مثار خلاف بين الرجلين إذ أصر السيد أحمد على تسلمها منه في مواضعها على أن تُضمن سلامة عزيز وجنوده، إلاَّ أن الأخير رفض ذلك بحجة أنه يخشى مهاجمة القبائل البدوية له ولقواته وهم عزلاء من السلاح !! [4] وربما دفعه إلى ذلك ضغط إيطاليا على الدولة العثمانية حتى تكف من مساعدة المجاهدين وتستدعي بقية القوات التي ظلت تحارب في برقة، بالإضافة إلى الضغوط الإيطالية على الحكومة المصرية لكي تمنع عن المجاهدين الأسلحة والذخيرة والمؤن التي تصل إليهم من مصر [5].

وعلى كل حال فقد اختلفت الآراء حول الظروف التي دفعت عزيز المصري على المغادرة. فقد غادر بمن معه من الضباط والجنود والموظفين في 16 يونيو 1913م، متجهًا صوب منفذ

---

(1) مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 41- 42.

(2) أحمد عطية مدلّل، مرجع سابق، ص 64- 65.

(3) موسى بكاكرة، مرجع سابق، ص 31.

(4) مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 44.

(5) محمود الشنيطي، مرجع سابق، ص 59.

السلوم الذي وصله في الثاني والعشرين من نفس الشهر، ثُمَّ إلى الإسكندرية في 16 يوليو وذهب بعدها إلى إستانبول. وقبل ذلك حاول فريق من المجاهدين إقناعه بالعدول عن رأيه فلم يستجب لمطالبهم، مِمَّا أدى إلى نشوب صدام مسلح بينهم سقط على أثره العديد من القتلى[1].

وفي ضوء ذلك حاول الإيطاليون أتباع أسهل الطرق لقتل الحركة الوطنية المسلحة في الشرق الليبي في مهدها، وذلك عن طريق التصالح مع أحمد الشريف والإغداق عليه، لعله يرضى، فقد أرسلوا له إحدى الشخصيات الليبية المتعاونة معهم، والذي ذهب إلى الكفرة للقيام بهذه المهمَّة، كما جرت محاولات أخرى شبه رسمية في سنة 1913م- 1914م، بقصد جره إلى التفاهم والتصالح، لكنها جميعًا ذهبت أدراج الرياح. واستمرت المحاولات الإيطالية لاستدراج السيد أحمد الشريف للمفاوضة والصلح مقابل ضمان بقائه أميرًا للبلاد تحت حمايتها وانتدابها مع تخصيص منطقة نفوذ له تحدّد لسلطانه على أن تحتفظ هي بالموانئ والثغور الساحلية، فكان ردّه بالرفض واضحًا. واتخذ الكثير من مشايخ الزوايا والقبائل في منطقة بنغازي نفس موقف السيد أحمد وأعربوا عن رفضهم لأية مساومة أو تنازل[2].

ورغم كل الظروف الصعبة التي مرت بها البلاد في سنة 1913م، إلاَّ أنها شهدت عددًا من المعارك ضدّ الإيطاليين في معظم جهات برقة. وذلك بفضل قيادة المجاهدين الحكيمة والمصرة على منازلة الاحتلال الإيطالي رغم كل المحن.

أما في فزان فقد تقدمت الطوابير الإيطالية بقيادة الكولونيل **انطونيو مياني** وكان على رأس رجال المقاومة السيد **محمد بن عبد الله البوسيفي**، ولكنه ما لبث أن استشهد واحتلت القوات الإيطالية مرزق وبقيت جماعة من المجاهدين بقيادة **سالم بن عبد النبي الزنتاني**[3] يتحينون الفرصة المواتية للانقضاض على فلول الجيش الإيطالي، وبخاصة بعدما اتسعت الصحراء عليهم، حيث ألفت حركة المقاومة الوطنية مجموعات مسلحة، فأخذوا يتعقبون الطليان في الصحراء، وكان

---

(1) أحمد عطية مدلّل، مرجع سابق، ص 80.

(2) مصطفى علي هويدي، مرجع سابق، ص 35.

(3) **سالم بن عبد النبي الزنتاني:** من أعيان قبيلة الزنتان ورجالاتها المشهورين في الرأي والحروب، وكان له غزوة قلعة القاهرة – بالقرب من مدينة سبها حاليًا- موقفًا مشرفًا، حيث طرد منها الطليان، هو وجماعة من أصحابه المجاهدين في 27 نوفمبر 1914م. ولما انتهت المقاومة في طرابلس سافر إلى فزان، ومنها إلى تونس، ثُمَّ رجع إلى القريات و بها توفي في حوالي 1929م . رحمه الله . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 167-168.

لهم دورٌ كبيرٌ في إجبار قوات الاحتلال الإيطالي على التقهقر والانسحاب من فزان، حيث أخلت مرزق في 10 سبتمبر 1914م لتصل إلى مصراتة في الخامس والعشرين من نفس الشهر[1].

ثانيًا: النخب الوطنية ودورها في رأب الصدع وتوحيد الصفوف سياسيًّا وعسكريًّا.

في الواقع فإن الأحداث التي جرت على الساحة الليبية خلال أعوام 1912م، 1916م، لا يتسع البحث لاستعراض وقائعها، وما ترتب عليها من آثار على واقع الجهاد. حيث أدت إلى إرباك المشهد في الأوساط السياسية القيادية في طرابلس الغرب، وبخاصة بعد أن تخلت الدولة العثمانية عن كل سيادة لها في ولاية طرابلس الغرب وبرقة عدا الناحية الدينية. ومِمَّا زاد الأمر تعقيدًا عدم وجود القيادة السياسية الموحدة، وتعدد الزعامات مِمَّا أوجد مجالاً للخلاف، وفتح المجال أمام غلبة النزعات الجهوية، وسيطرة الزعامات الإقطاعية. ومن هنا كانت تنتظر النخب الوطنية مهمَّة ليست بالسهلة لرأب الصدع وتوحيد الصفوف سياسيًّا وعسكريًّا.

ويُعد تأسيس الجمهورية الطرابلسية بداية التمهيد للطريق نحو توحيد الزعامات الداخلية، كما كان لها تأثيرين على المستوى الداخلي والخارجي، حيث كانت أول جمهورية يقع الإعلان عنها في المنطقة العربية. وكذلك بدأت معها تتشكل **الهوية الوطنية** وتأخذ مسارها في تجاوز تدريجي وبطيء للهوية القبلية، التي لا تزال تأثيراتها قوية الحضور بالمشهد الليبي إلى اليوم[2].

لقد اختلف الباحثون حول فكرة قيام الجمهورية الطرابلسية، فهناك من ينسب اقتراح تأسيس الجمهورية كان بادرة من **عبد الرحمن عزام**[3]، وينسبها البعض الآخر إلى الأمير **عثمان فؤاد**[4]، ولكن فكرة الجمهورية الطرابلسية كانت معروفة قبل ذلك عند المثقفين من أبناء طرابلس الغرب، وذلك ما عبر عنه محمد فرحات الزاوي في حديث إلى الصحفي الفرنسي جورج ريمون حيث قال: "

---

[1] محمود الشنيطي، مرجع سابق، ص 61.

[2] موسى بكاكرة، مرجع سابق، ص 109.

[3] **عبد الرحمن عزام:** عُين مستشارًا للقيادات الأفريقية التركية بعد أن عززت تركيا قواتها في ليبيا غقب إعلان الحرب العالمية الأولى، وقد أصبح أمينًا لجامعة الدول العربية. محمود شاكر، مرجع سابق، ص 46.

[4] **عثمان فؤاد:** هو الأمير عثمان فؤاد ابن الأمير صلاح الدين العثماني. ولما طرد مصطفى كمال آل عثمان من استانبول لجأ الأمير عثمان إلى مصر، وتزوج من الأميرة المصرية قدرية حليم. وقد جاء إلى مصراتة في مارس 1918م لتنفيذ سياسة متفق عليها بين الترك والألمان لتغذية الثورة في طرابلس ضد الطليان، حتى إذا ما وفقوا حاولوا أن تمتد الثورة إلى برقة للإغارة على الإنجليز في مصر مرة ثانية . الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 313- 314.

وسوف تعلن الجمهورية الطرابلسية" عند زيارته إلى معسكرات المجاهدين في العزيزية في أواخر سنة 1912م[1].

وبناءً على المعطيات السابقة يمكن القول أن إعلان الجمهورية الطرابلسية جاء تلبية لدعوة ملحة لتوحيد حركة الجهاد وقد اعتمد المجاهدون على أنفسهم دون الاعتماد على الدولة العثمانية. وقد تم الاتفاق على أن يعقد مؤتمر شعبي كبير يضم الزعماء والأعيان والمشائخ في مدينة مسلاته، وفي يوم السبت الموافق 16 نوفمبر 1918م اجتمعت الوفود الطرابلسية في جامع المجابرة بمسلاته، وبعد أن ألقى عبد الرحمن عزام خطبة لقيت استحسانًا في أذهان جميع الحاضرين حول فكرة إنشاء حكومة وطنية تتوحد فيها الكلمة، وتتولى أمور البلاد والعباد، فسميت بذلك الجمهورية الطرابلسية تمتد حدودها الجغرافية من حدود برقة[2] شرقًا إلى الحدود التونسية غربًا[3].

ورأى المجتمعون أنَّ من غير المحمود انتخاب رئيس للدولة(الجمهورية) ما دامت الأمور غير مستقرة في البلاد. وقد اختيار أربعة أعضاء مشكلين مجلس الجمهورية، وهم: **رمضان بك السويحلي**[4]، **سليمان باشا الباروني، أحمد المريّض، عبد النبي بلخير**[1]. واتفقوا أن يقيم كل

---

(1) المبروك محمد علي، (2000م)، **الأوضاع السياسية والعسكرية في غرب ليبيا 1919– 1922م**، مركز جهاد الليبيين للدراسات، طرابلس، ص 22.

(2) بعد أن تورط السيد أحمد الشريف في محاربة الإنجليز في مصر إلى جانب الأتراك والألمان، هذه الحرب التي أنهت بهزيمة معسكر السنوسيين في السلوم في 24 مارس 1916م، وما تلا ذلك من أحداث أدت إلى تحيد أحمد الشريف عن الإمارة السنوسية وتولى ابن عمه إدريس المهدي السنوسي الإمارة السنوسية بدءًا من سنة 1917م، – نظرًا لما مرت به برقة من ظروف غاية في الصعوبة، حيث شاعت المجاعة وتفشت الأمراض والأوبئة وبخاصة الطاعون الذي قضى على مجموعات كبيرة من السكان – و الذي دخل في مفاوضات ومعاهدات مع الإيطاليين بواسطة من الإنجليز(اتفاقية عكرمة= = في 14 أبريل 1917م، واتفاقية الرجمة في 20 أكتوبر 1920م)، كان من أهم نتائجها توتر العلاقات بين طرابلس وبرقة، ونشوب النزاع على الحدود بين المنطقتين، حيث أقام السيد إدريس فوق الحدود الغربية لبرقة في منطقة سرت ما يسمى بخط النار. للمزيد يُنظر: أبو بكر خليفة شليق، مرجع سابق، ص 91، 92؛ ن. إ. بروشين، مرجع سابق، ص 181– 187.

(3) موسى بكاكرة، مرجع سابق، ص 109.

(4) **رمضان بك السويحلي:** ولد في زاوية المحجوب بمصراته في أوائل سنة 1297هـ/ 1879م، من قبيلة يدّر من القول أوغلية، التحق في سنة السادسة بزاوية المحجوب لحفظ القرآن الكريم، ثم انتقل إلى زاوية الزروق، وخلال هذه المرحلة حفظ القرآن الكريم وأخذ مبادئ في الفقه على المذهب المالكي. وخلال الغزو الإيطالي انخرط في سلك مجاهدي مصراته، وفي 26 أكتوبر 1911م أسندت له قيادة مجاهدي المدينة. وقد أعلن في 5 أغسطس 1915م

عضو من الأعضاء في منطقة نفوذه، وأن يتخذ القرارات وفق ما تمليه عليه الضرورة ، فكلف رمضان السويحلي بمصراتة، وأحمد المريض بترهونة، وسليمان الباروني في العزيزية والزاوية، وعبد النبي بلخير في ورفلة، على أن يتخذ من الزاوية مقرًا لقيادة الجيش[2].

كما تأسيس **مجلس للشورى** يساعد مجلس الرئاسة في القيام بالأعمال المختلفة، وكان عدد أعضائه أربعة وعشرين عضوًا، تم اختيارهم توزيعًا وتحقيقًا للمساواة والوحدة بين القبائل. وكذلك **هيئة تشريعية** عُرفت باسم المجلس الشرعي وأعماله وأحكامه كانت وفقًا لأحكام الفقه الإسلامي على مذهب الإمام مالك ويتكون من أربعة أعضاء. وبعدها أقسم الأعضاء الحاضرون قسم الجمهورية. وتم إعلان الجمهورية ببيان رسمي نصه: ((تحررت الأمة الطرابلسية وتوجت استقلالها بإعلان حكومة الجمهورية باتفاق آراء علمائها الأجلاء وأشرافها وأعيانها ورؤساء المجاهدين)) [3]. وقد صدرت عنها عدة بلاغات ومراسلات داخلية وخارجية، منها البلاغ الموجه إلى رئيس الحكومة الإيطالية، الذي يتلخص في طلب الاعتراف من قبلها بحكومة الجمهورية الطرابلسية وسد كل باب يؤدي إلى استمرار الحرب بينهما [4].

إلاَّ أن الحكومة الإيطالية رفضت الاعتراف بالجمهورية وقررت استخدام أسلوب القوة مجددًا من أجل إرغام الوطنيين الليبيين على الاستسلام، وفي نهاية سنة 1918م وصل إلى طرابلس الحاكم الجديد **غاريوني** وبدأ سحب القوات إليها أيضًا، فركز في منطقة طرابلس في مارس 1919م، زهاء 70 ألف مقاتل بالإضافة إلى كميات ضخمة من السلاح والمعدات الحربية[5]. وقد ألقت طائراتها منشورات للأهالي تتوعدهم بالقتل وأنها سوف تستخدم الغاز السام، بل وأعلنوا أن

شكل فيها حكومة وطنية برئاسته وكان يعتمد في تنفيذ أحكامه على هيئة من علماء مصراته يحول إليها كل ما يعرض عليه من مشاكل. وقد توفي في 24 أغسطس 1920م. **للمزيد يُنظر:** الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص238- 242.

(1) **عبد النبي بلخير:** زعيم من زعماء طرابلس، وعين من أعيان ورفلة، ومن ذوي الرأي فيها. التحق بحركة الجهاد في طرابلس في فجر مطلعها، ولما أنشئت الجمهورية الطرابلسية سنة 1918م انتخب أحد أعضائها. ولما احتلت أرفلة في 27 ديسمبر 1923م هاجر إلى فزان، وبعد أن احتلها الطليان سنة 1929م هاجر إلى الجزائر وقد توفي في طريقه إليها رفقة كثيرًا من الذين هاجروا معه. عليهم رحمة الله. الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 249.

(2) ن. إ. بروشين، مرجع سابق، ص 193- 194.

(3) المبروك محمد علي، مرجع سابق، ص 26.

(4) الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 327.

(5) ن. إ. بروشين، مرجع سابق، ص 195.

الواجب عليهم استئناف الحرب حتى إخضاع البلاد بالقوة، معللة ذلك بأنها أخذتها من تركيا من خلال معاهدة أوشي لوزان[1].

غير أن صمود المجاهدون جعل الحكومة الإيطالية مضطرة إلى الإعلان عن قبول التفاوض والدخول في صلح مع رئاسة الجمهورية، بالإضافة إلى محاولة امتصاص غضب الشارع الإيطالي المتفاقم والرافض لتلك الحرب داخل إيطاليا نفسها، مع قناعتهم بأن مشكلة استعمار طرابلس يمكن أن تحل بالطرق السلميّة، لذا تتالت الاجتماعات والمفاوضات التي منها: اجتماع الخمس 21 نوفمبر 1918م، وجنزور في 10 مارس 1919م، وبن غشير في 3 أبريل 1919م، وخلة الزيتونة في 18 أبريل 1919م، هذه المفاوضات التي لم تكن إيطاليا تريد من وراءها المهادنة فحسب، وإنما فسحة من الوقت لتتصرف فيها إلى مشاكلها الداخلية ومجهودها الحربي، إلى جانب ما تتيحه الهدنة من فرصة للاتصال بزعامات وقادة الجمهورية الطرابلسية لمحاولة استمالتهم إلى جانبها مستخدمة سياسة (فرق تسد) وكانت إيطاليا قد دخلت في هذه الفترة في مفاوضات مع الجمهورية الناشئة حتى انتهت إلى إصدار القانون الأساسي لطرابلس، ثم اتبعته بمثله لبرقة أيضًا[2].

لقد انبثق عن اجتماع الطرفين في خلة الزيتونة 18 أبريل 1919م، الاتفاق على اتفاقية صلح عُرفت باسم القانون الأساسي لصلح سواني بن ياديم. وكان هذا الصلح مكسبًا مهمًا لقادة الجمهورية الطرابلسية، إذ وافقت الحكومة الإيطالية على الاعتراف بحق الجنسية للأهالي المسلمين واحترام العادات والتقاليد المحلية، وحق التمثيل في الحكومة بطرابلس، وانتخاب برلمان طرابلسي، وبمنتهى السرعة عيّن قادة الجمهورية ثمانية أعيان كممثلين للجمهورية في طرابلس. كانت هذه المكاسب في غاية الأهمية. ويعزى الفضل في ذلك إلى وجود قيادة محلية موحدة في الجمهورية الطرابلسية أرغمت الحكومة الإيطالية على قبولها[3].

إلاَّ أنه كما قيل لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ. حيث ما طلت الحكومة الإيطالية في تنفيذ بنود صلح سواني بن يادم وتحديدًا عدم إعطاء البرلمان الطرابلسي سلطات تشريعية بل استشارية غير

---

[1] موسى بكاكرة، مرجع سابق، ص 109.

[2] المرجع نفسه، ص 117.

[3] علي عبد اللطيف حميدة، (1998م)، **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا 1830- 1936م**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، ص 172- 173.

ملزمة. وقد أدى هذا التعنت المقصود إلى خلق فجوة كبيرة بين قادة الجمهورية والحكومية الإيطالية التي عملت على تغذية الصراعات والتنافس القديم بين الأعيان والشيوخ[1]. مِمَّا أدى إلى حدوث حروب أهلية كان من أسوء نتائجها خسارة حركة المقاومة الليبية لعدد من قادتها وأبنائها البارزين[2].

وفي المقابل عملت النخب الوطنية في شرق البلاد على الاستفادة من الليونة السياسية– الملبدة بالمكر– التي أبدتها الحكومة الإيطالية مع الأطراف الليبية الفاعلة خلال هذه الفترة؛ حيث أصبحت منهوكة القوى في الداخل وعاجزة عن إرسال قوات إضافية لتأكيد سيطرتها الفاعلة على كل التراب الليبي بفعل قوة المقاومة، ففي 31 أكتوبر 1919م قبل السيد **محمد إدريس السنوسي**[3] بما نص عليه القانون الأساسي الذي دُعم باتفاقية الرجمة في 25 أكتوبر 1920م التي منح على أثرها السيد محمد إدريس السنوسي لقب الأمير بحيث يكون حكمه وراثيًّا، واعترف به رئيسًا لحكومة وطنية لها برلمانها الخاص ومجلس حكومتها ومجالسها المحليّة، وأن يكون لها علمًا خاصًا بها، وتتمتع باستقلال ذاتي تدير الأجزاء الداخلية من برقة المكونة من واحات الجغبوب وأوجله وجالو والكفرة، إضافة إلى مدينة أجدابيا مقر الحكومة[4].

وكانت أولى جلسات برلمان حكومة برقة في أبريل 1921م برئاسة السيد صفي الدين السنوسي، وكان مكونًا من نحو ستين عضوًا أكثرهم من زعماء القبائل الذين انتخبهم اتباعهم، وبينهم عدد قليل من أبناء المدن، وثلاثة أعضاء إيطاليين يمثلون الجالية الإيطالية. ومن أهم الأمور التي تعرض على البرلمان قبل صدورها جميع الأوامر واللوائح التي يقصد منها تطبيق القانون الأساسي، إضافة إلى النظر في الضرائب المباشرة، والبحث في المنافع العامة التي أرصدت لها مخصصات في الموازنة، وله الحق في مناقشة الإدارة الإيطالية في المسائل الإدارية.

---

(1) المرجع نفسه، 173.

(2) الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 402– 409.

(3) **محمد إدريس السنوسي(1890– 1973م):** هو بن محمد المهدي بن محمد بن علي السنوسي ولد بزاوية الجغبوب في 12 مارس 1890م، وبعد وفاة والده في عام 1902م، كفله ابن عمه السيد أحمد الشريف الذي تولى الإمارة السنوسية، الإمارة السنوسية وتولى السيد محمد إدريس السنوسي الإمارة السنوسية بدءًا من سنة 1917م، **للمزيد يُنظر.** محمد فؤاد شكري، **مرجع سابق**، ص 183–197.

(4) مجيد خدوري، (1966م)، **ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي**، دار الثقافة، بيروت، ص 28– 30.

وقد بلغت عدد الجلسات التي عقد هذا البرلمان خمس جلسات حتى مارس 1923م، إثر انهيار الاتفاق مع الجانب الإيطالي[1].

وفي المنطقة الغربية حاولت النخب الوطنية السياسية والعسكرية رأب الصدع الذي حدث بين زعماء ومشايخ المنطقة، فالجمهورية الطرابلسية أصبحت من الناحية الواقعية غيّر فعالة نظرًا لمقتل وخسارة عدد من أقطابها، الأمر الذي ترتب عنه ضعفهم في مواجهة الحكومة الإيطالية، لذا استقر رأيهم على الدعوة إلى مؤتمر عاجل للتشاور وتقرير استراتيجية جديدة، وكان ذلك في مؤتمر غريان نوفمبر 18 نوفمبر 1920م[2]، الذي أفضى إلى انتخاب حكومة جديدة أطلق عليها هيئة الإصلاح المركزية[3]، ومن بين أهم القرارات التي توصل إليها المجتمعون في مؤتمر غريان توحيد البلاد بحدودها المعروفة تحت حكومة واحدة بزعامة رجل مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقره الأمة الليبية[4].

لقد بدأت هيئة الإصلاح المركزية بتنفيذ قرارات مؤتمر غريان، حيث قامت بالدعوة إلى عقد مؤتمر في مدينة سرت بين زعماء المنقطة الشرقية والغربية لتوحيد حركة المقاومة الليبية، وفي 21 يناير 1922م عقد الاجتماع الأول بين الطرفين في مدينة سرت حيث مثل وفد برقة الشيخ صالح الأطيوش، أما الوفد الطرابلسي فكان برئاسة **أحمد السويحلي**[5] من أعيان مصراتة وزعيم حركة

---

[1] مجيد خدوري، مرجع سابق، ص 29.

[2] المبروك محمد علي، مرجع سابق، ص 77- 79.

[3] **هيئة الإصلاح المركزية:** انتخب أحمد المريَّض رئيسًا لها وعبد الرحمن عزام مستشارًا وكان من أعضائها محمد فرحات الزاوي ومختار كعبار وبشير السعداوي، وغيرهم. اتصلت بالحكومة الإيطالية من أجل المطالبة بتنفيذ القانون الأساسي، لكنها قوبلت بالرفض، كما حاولت توحيد الكفاح الوطني بالاتصال بين القطرين الطرابلسي والبرقاوي بمبايعة الأمير السنوسي ملكًا للبلاد، وتوحيد الجهود ضدّ العدو المشترك. غير أن وصول الحزب الفاشي بزعامة موسوليني في أكتوبر 1922م، أدى إلى انهيار المفاوضات وعدم اعتراف الحكومة الإيطالية بقرارات مؤتمر غريان وبيعة الأمير. مِمَّا أدى إلى استئناف الكفاح الوطني المسلح ضدّ السياسة الاستعمارية الإيطالية. **للمزيد يُنظر:** محمود الشنيطي، مرجع سابق، ص 94- 98.

[4] الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 423-424.

[5] **أحمد السويحلي(1880- 1963م):** أحمد بن الشتيوي السويحلي، من قبيلة يدر بمصراتة، انتخب عضوًا لحكومة القطر الطرابلسي سنة 1919م، وبعد وفاة أخيه رمضان في أغسطس1920م انتخب رئيسًا لحكومة مصراتة، وانتخب عضوًا في هيئة الإصلاح المركزية التي انتخبها مؤتمر غريان سنة 1920م، وبعد احتلال الطليان

الجهاد في تلك المنطقة، لإنهاء الخلافات القائمة بغية الوصول إلى غاية تحقيق مصلحة البلاد والعمل على توحيد الجهود لطرد المحتل الإيطالي، وتم بالفعل الاتفاق على جملة من القرارات، منها:

- يجب أن تكون كلمتنا واحدة ضد عدونا الغاصب لبلادنا وجنوده المفسدين.
- يرى الطرفان أن مصلحة الوطن وضرورة الدفاع ضد العدو المشترك تقتضي زعامة واحدة للبلاد بانتخاب أمير مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية داخل دستور ترضاه الأمة.
- تجتمع هيئة منتخبة من أهالي طرابلس وبرقة مرتين كل سنة في شهر محرم ورجب للنظر في مصلحة البلاد.
- يشترط أن توافق على هذه المعاهدة كل من حكومة برقة، والهيئة المركزية في جهة طرابلس[1].

وبناءً على هذا الاتفاق أرسلت حكومة طرابلس السيد بشير السعداوي مندوبًا لها في حكومة برقة، وانتدبت حكومة برقة السيد عبد العزيز العيساوي لتمثيلها لدى طرابلس، ثُمَّ كانت الخطوة التالية في تنظيم الكفاح المشترك وتوحيد الزعامة على البلاد الليبية كلها، وقد تمثل ذلك في إرسال الوفود المتتالية إلى أجدابيا مقر حكومة برقة بقصد تهيئة الأجواء لتقديم البيعة للأمير محمد إدريس السنوسي، وكانت أخر هذه الوفود المنتخبة من هيئة الإصلاح المركزية الوفد المكون من الأستاذ عبدالرحمن عزام، و**الصادق بن الحاج**[2] اللذان سافرا من غريان في نوفمبر 1922م، لتقديم كتاب البيعة، ومِمَّا جاء فيه ((وحيث كان سموّكم من أشرف عائلة وأكرم بيت مع ما تجمَّع في ذاتكم الشريفة من المزايا العالية والأوصاف الجليلة فإن هيئة الإصلاح المركزية الحائزة للوكالة المطلقة من مؤتمر غريان الذي يمثل الأمة الطرابلسية بانتخاب واقع منها قد وجدت في سموكم أميرًا حازمًا قادرًا على جمع الأمة حائزًا للثقة العامة محبوبًا، فهي لذلك تبايع سموكم أميرًا للقطرين طرابلس وبرقة على أن تقودهما إلى ما يحقق أمانيهما الشريفة الإسلامية المنوه عنها. على أن مبايعتكم

لمصراتة سنة 1923م سافر= = إلى مصر، وعاد إلى طرابلس في سنة 1955م، وتوفي عام 1962م، رحمه الله. الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 109- 111.

[1] المبروك محمد علي، مرجع سابق، ص 83-85.

[2] **الصادق بن الحاج:** أحد أعيان طرابلس ولد بمدينة طرابلس، وبها أخذ مبادئ ثقافته، انتخب عضوًا في مجلس المبعوثان التركي، كما انتخب عضوًا في مؤتمر غريان سنة 1920م، وانتخبه المؤتمر عضوًا في الحكومة الوطنية، وفي نوفمبر 1922م انتخب عضوًا في الوفد الذي حمل بيعة الطرابلسيين إلى السيد إدريس في أجدابيا، رحمه الله. الطاهر أحمد الزاوي، **أعلام ليبيا**، ص 187.

كانت مضمرة في كل نفس منذ وقع الاتحاد بين مندوبي القطرين في سرت وكان السبب في تأخير تحقيقها تلك طوارئ التي طوّحت بكل واحد من أعضاء الهيئة ورجال القطر في منطقة شاسعة من المناطق الحربية)) [1].

وكان رد الأمير السنوسي على كتاب البيعة في 11 نوفمبر 1922م بالقبول، وذلك بقوله ((ولما كان اتحاد الوطن وسلامته هما الغاية التي طالما سعيت إليها وجدت من واجبي أن أتلقى طلبكم بالقبول وأن أتحمل المسئولية العظمى التي رأت الأمة تكليفي بها فعلي إذن أن أعلمكم بجد معكم... لقد اشترطتم عليَّ الشورى وهي أساس ديننا وسأعمل على قاعدتها. هذا وقد رأيت أن أقرّ بعض الأمور على ما هي عليه حتى تجتمع جمعية وطنية لوضع نظام البلاد، فذلك أكل إلى الهيئة المركزية لما أبدت من الحمية والعدل والدراية ان تستمر على إدارة شؤون القطر الطرابلسي، ولي الثقة العظيمة في حكمها رئيسها البطل الحازم أخمد بك المريِّض ورفاقه والرؤساء الكرام الذين أيَّدوا مساعي الهيئة المالية أن يتحملوا مشا ق المسؤولية بصبر لتثبيت دعائم البناء الوطني الذي شيَّدوه. وأسأله تعالى أن يمدّ الجميع بعنايته، وأن يثبت الأقدام ويقهر الأعداء ويمن بالنصر الموعود إنه على ما يشاء قدير)) [2].

مثلت هذه الأحداث والاتصالات والتفاهمات المحمودة قمة الوعي الوطني لدى النخب السياسية والعسكرية الليبية التي شعرت بخطورة وحساسية الموقف الذي تطلب نسيان الخلفات والصراعات التي لم تنفك تعكر المزاج الوحدوي، ووقفت حجر العثرة أمام لم الشمل واللُحمة الوطنية، التي تجسدت أخيرًا في موافقة السيد الأمير محمد إدريس السنوسي لإمارة البلاد في نوفمبر 1922م.

إلاَّ أن ذلك صاحب تطورات خطيرة على مستوى الساحة الإيطالية بشكل عام والليبية بشكل خاص إثر صعود الحزب الفاشستي بزعامة موسليني إلى الحكم في إيطاليا في أكتوبر 1922م، هذا الحزب الرافض لسياسة الاسترضاء نحو السنوسيين وغيرهم من الزعمات الوطنية، ورافضًا لجميع الاتفاقيات التي عقدت بين إيطاليا والحكومات والهيئات الليبية[3]، منتهجًا سياسة جديدة تهدف إلى احتلال كل البلاد احتلالاً تامًا بإعداد جيش كبير مدعم بالطائرات والسلاح البحري،

---

(1) الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 457-458.

(2) الطاهر أحمد الزاوي، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، ص 460-461.

(3) مجيد خدوري، مرجع سابق، ص 31.

ولعلَّ خير مثال على ذلك ما صرح به فولبي[1] الحاكم العسكري لطرابلس ((سياستنا في ليبيا ليست بالتعاون مع الأعيان، ليست ضدَّ الأعيان، ولكن في الحكم بدونهم)) [2].

الخاتمة

حاولت خلال هذا البحث نسج تجارب الماضي لأبناء وطننا العزيز، فما العبرة من قراءة التاريخ إلاَّ الاستفادة من تجارب الأولين، والمضيّ قدومًا نحو بناء الأفضل. ولعلَّ من أهم النتائج التي توصلت إليها.

أثر انسحاب الحاميات العثمانية من البلاد عقب توقيع اتفاقية أوشي لوزان تأثيرًا سلبيًّا على حركة الجهاد في ليبيا، وقد تباين ذلك التأثير بين مناطق البلاد ففي المنطقة الغربية كان أعمق منه في المنطقة الشرقية، حيث حظي الجزء الشرقي بقيادة موحدة تمثلت في شخص السيد أحمد الشريف، بينما ترك الفراغ السياسي الناتج عن انسحاب الإدارة الحكومية العثمانية من المنطقة الغربية أزمة ثقة، حيث ظهرت قيادات اجتماعية وقبيلة عدة، وقد أثر هذا التعدد – كما اتضح في ثنايا البحث – تأثيرًا سلبيًّا. على الرغم من المحاولات التي قامت بها بعض النخب الوطنية السياسية والعسكرية من أجل رأب الصدع وتوحيد الجهود للوقوف ضدَّ الاحتلال الإيطالي.

لقد حملت النخب الوطنية على عاتقها مهمَّة إنقاذ البلاد عندما وجدت نفسها أمام الأمر الواقع، فتشكلت حكومة وطنية بقيادة أحمد الشريف امتدت قرابة الثلاث سنوات كان لها دورٌ كبيرٌ في إيقاف المد الإيطالي نحو الداخل في برقة. غير أن الضغوط الدولية دفعت قائدها لخوض مغامرة، كان من نتائجها الإطاحة السياسية به ونفيه من البلاد، وتوقف حركة المقاومة فترة من الزمن. وفي المقابل لم تدم الحكومة الوطنية في غرب البلاد برئاسة سليمان الباروني سوى شهور معدودة؛ بسبب اختلاف النخب الوطنية في وجهات النظر حول التفاوض أو المقاومة.

كما مثل الإعلان عن حكومة الجمهورية الطرابلسية بارقة أمل نحو تحقيق استقلال البلاد وتوحيد صفوف حركة المقاومة، ومحاولة نسيان المنازعات القديمة والطموحات الشخصية في الانفراد بالزعامة والحكم. وهو ما نجحت الحكومة الإيطالية في استغلاله وبه اخترقت الصلات التي ما لبثت أن توثقت فكان لها مرادها بتشتيت الجهود الوطنية واختراق الصف، الأمر الذي سهل

---

[1] **الكونت جوزف فولبي(1877– 1947م):** سياسي ورجل أعمال إيطالي، كانت له نشاطات اقتصادية في البلقان والشرق، تولى حكم ولاية طرابلس في الفترة 1921–1925م، كما شغل عضوية مجلس الشيوخ الإيطالي 1922م، ثُمَّ تولى وزارة المالية في العهد الفاشستي منذ سنة 1925م. عبد المنصف حافظ البوري،(1983م)، الغزو الإيطالي لليبيا دراسة في العلاقات الدولية، الدار العربية للكتاب، ليبيا.

[2] علي عبد اللطيف حميدة، مرجع سابق، ص180.

عليها لاحقًا بسط سيطرتها على كامل التراب الليبي. فالعبرة من ذلك عدم ترك المجال أمام العداوة والبغضاء، وسد الباب أمام التدخلات الخارجية التي أنهكت ولازالت تنهك وطننا الحبيب.

كان هدف السيد محمد إدريس السنوسي من تقبل العمل السياسي والتعايش السلمي في ظل السيادة الإيطالية هو تثبيت مركزه السياسي وإنعاش برقة اقتصاديًا وتحقيق السلام فيها، وقد أفضت هذه التجربة السياسية إلى إنشاء حكومة وطنية، وإجراء انتخابات برلمانية محلية. وفي المنطقة الغربية حاولت النخب الوطنية السياسية والعسكرية رأب الصدع الذي حدث بين زعماء ومشايخ المنطقة، فالجمهورية الطرابلسية أصبحت من الناحية الواقعية غيّر فعالة نظرًا لمقتل وخسارة عدد من أقطابها، الأمر الذي ترتب عنه ضعفهم في مواجهة الحكومة الإيطالية، لذا استقر رأيهم على الدعوة إلى مؤتمر عاجل للتشاور وتقرير استراتيجية جديدة، وكان ذلك في مؤتمر غريان نوفمبر 18 نوفمبر 1920م. ومن بين أهم القرارات التي توصل إليها المجتمعون في مؤتمر غريان توحيد البلاد بحدودها المعروفة تحت حكومة واحدة بزعامة رجل مسلم تكون له السلطة الدينية والمدنية والعسكرية بأكملها بموجب دستور تقره الأمة الليبية، والتي وجدت طريق النجاح بقبول الأمير محمد إدريس السنوسي بالبيعة أميرًا على البلاد الليبية في 11 نوفمبر 1922م. غير أن التطورات السياسية التي حدثت على الساحة الإيطالية والتي أفضت إلى وصول الحزب الفاشي إلى الحكم، الذي شن حربًا شاملة للسيطرة على الأراضي الليبية، ضاربًا عرض الحائط بالاتفاقيات المبرمة مع الأطراف الليبية، قد قيد هذه الصحوة الوطنية والتي كانت بداية لمشوار طويل نحو الاستقلال في 24 ديسمبر 1951م.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المراجع

- بربار، عقيل محمد، **دراسات في تاريخ ليبيا الحديث**، دار الحكمة، طرابلس- ليبيا، ط2، 2009م.
- بروشين، ن. إ.، **تاريخ ليبيا الحديث من نهاية القرن التاسع عشر حتى 1969م**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2001م.
- البوري، عبد المنصف حافظ، الغزو الإيطالي لليبيا دراسة في العلاقات الدولية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1983م.
- التليسي، خليفة محمد، **معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911-1931م**، الدار العربية للكتاب، ليبيا ،1983م.
- حميدة، علي عبد اللطيف، **المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا 1830- 1936م**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط2، 1998م.
- خدوري، مجيد ، (1966م)، **ليبيا الحديثة دراسة في تطورها السياسي**، دار الثقافة، بيروت.
- الزاوي، الطاهر أحمد، **أعلام ليبيا**، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط 3، 2004م.
- ـــــــــــــ، **جهاد الأبطال في طرابلس الغرب**، دارف المحدودة، لندن، ط3، 1984م.
- شاكر، محمود، **ليبية**، الدار العلمية، بيروت، 1972م.
- شكري، محمد فؤاد، **السنوسية دينٌ ودولة**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1948م، ص 137.
- الشنيطي، محمود، **قضية ليبيا**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951م.
- علي، المبروك محمد، **الأوضاع السياسية والعسكرية في غرب ليبيا 1919- 1922م**، مركز جهاد الليبيين للدراسات، طرابلس، 2000م.
- مدلّل، أحمد عطية، **المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها 1914- 1915م**، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، ليبيا، 1989م.
- هويدي، مصطفى علي، **الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى**، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1988م.

ثانيًا: الرسائل العلمية.

- بكاكرة، موسى، **الأوضاع السياسية في ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى 1914- 1918م**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي- الجزائر، 2019م.

- دريسي، ميمونة. رملي، خضرة، **ليبيا والحرب العالمية الأولى 1911- 1918م**، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة – الجزائر، 2021م.

- شليق، أبو بكر خليفة، **المجاهد أحمد الشريف السنوسي حياته ونضاله 1873- 1933م**، رسالة ماجستير، كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية، 2011م.

ثالثًا: الدوريات.

- البكوش، سعاد محمد، **دور أحمد الشريف السنوسي في حركة المقاومة الليبية ضد الإيطاليين خلال الفترة 1911- 1918م**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة المرقب، ع 11، سبتمبر 2015م.

- حسين، أميرة، **بشير السعداوي 1884- 1957م ودوره في المقاومة الليبية**، مجلة ذي قار، مجلد 3، ع 10، 30 يونيو/ حزيران 2013م.

- السويدي، سالم فرج، الجابر، نعيمة عمر، **أثر اتفاقية أوشي لوزان 15 أكتوبر 1912م على حركة الجهاد في ليبيا**، مجلة العلوم الإنسانية ، جامعة سبها، المجلد 20، ع 1، 2021م.

المفاوضات بين عمر المختار والإيطاليين 1929م

د.علي عيسى علي الدعب/ الدرجة العلمية محاضر.

قسم الحضارة /كلية التاريخ والحضارة /جامعة السيد محمد بن علي السنوسي الاسلامية

الملخص:

يدور البحث حول تلك المفاوضات التي جرت بين الإيطاليين وعمر المختار في مارس 1929م، واستمرت حتى أكتوبر من نفس العام، وقد حاول فيها المارشال بادليو حاكم طرابلس وبرقة، ونائبه عن بنغازي الجنرال سيشلياني الجلوس مع عمر المختار للوصول إلى إيقاف الحرب، مقابل مطالب عمر المختار التي اشترطها في جلسات استمرت لستة أشهر، توصل فيها الايطاليون الى قبول شروط عمر المختار بكل صعوبة، مقابل هدنة لمدة شهرين قابلة للتجديد، وإيقاف كل العمليات العسكرية. ولكن اتضح أن بادليو صاحب مبادرة المفاوضات لم يكن في نيته الالتزام بشروط عمر المختار التي تعهد بتنفيذها في آخر لقاء بينهما، بل كان مضمون تلك المفاوضات كسب الوقت لبث الفتنة بين معسكرات عمر المختار، وهذا ما أدركه عمر المختار الذي أعلن على الفور إيقاف تلك المفاوضات وعودة الحرب في أكتوبر 1929م.

Abstract:

The research revolves around the negotiations that took place between the Italians and Omar Al-Mukhtar in March 1929 AD, and continued until October of the same year, in which Marshal Badlio, the governor of Tripoli and Cyrenaica, and his deputy for Benghazi, General Siciliani, tried to sit with Omar Al-Mukhtar to reach an end to the war, in exchange for Omar Al-Mukhtar's demands that He stipulated it in sessions that lasted for six months, during which the Italians came to accept Omar Al-Mukhtar's conditions with all difficulty, in exchange for a two-month renewable truce, and the cessation of all military operations. But it became clear that Badlio, the initiator of the negotiations, did not intend to abide by Omar Al-Mukhtar's conditions, which he pledged to implement in their last meeting. Rather, the content of those negotiations was to buy time to spread discord between the camps of Omar Al-Mukhtar, and this is what Omar Al-Mukhtar realized, who immediately announced the cessation of these negotiations and the return of the negotiations. The war in October 1929 AD.

الكلمات المفتاحية:

عمر المختار– الفضيل بوعمر– المارشال بادليو– الجنرال سيشلياني– جوزيبي دودياش، اجتماع سيدي ارحومة، اجتماع قندولة.

Omar Al-Mukhtar – Al-Fadil Boumar – Marshal Badlio – General Siciliani – Giuseppe Dudias, Sidi Arhouma meeting, Qandoula meeting.

المقدمة:

في يناير سنة 1929م كلف بينيتو موسيليني زعيم الحزب الفاشستي في إيطاليا المارشال بادليو بمنصب الحاكم العام لكل من طرابلس وبرقة، وكانت هذه المرة الأولى التي يتم فيها ضم الولايتين تحت قيادة واحدة، وقام بادليو فور تقلده منصبه الجديد بإلقاء مناشير عبر الطائرات على الأهالي، تحث المسلحين بتسليم سلاحهم مقابل العفو عنهم، ومتعهدا في الوقت نفسه إن هم استمروا في عصيانهم فسوف يقوم برد قاسي نحو الأهالي الآمنين تبقى آلامها عالقة في الاذهان لسنوات طويلة، ولكنه تراجع عن ذلك محاولا استمالة المجاهدين والتفاوض مع عمر المختار، والسماح للزعماء المحليين الراغبين في السلام التمهيد لتلك الاتصالات، وأرسل أيضا من طرفه عددا من الضباط والمستشارين، نجحت في لقاء المختار في جلسات مطولة عقدت بانتظام وبتواريخ محددة استغرقت عدة أشهر حتى نجح بادليو من مقابلة المختار في 19 يونيو في سيدي ارحومة ليستمع إلى مطالبه، والتي لم يمانع بادليو من تنفيذها، وأنه سيعرض تلك الشروط على حكومته في روما، وعلى المختار أن ينتظر الرد منه في أقرب وقت، وحين استنفذ الوقت الكافي، والذي كان من المفترض أن يرجع فيه بادليو حاملا الموافقة على تلك الشروط، كان المختار حينها قد شعر بتعمد، ومماطلة بادليو في الرد عليه؛ مما أدى في النهاية إلى أن يتخذ عمر المختار قررا نهائيا بعودة العمليات العسكرية من جديد.

وتأتي الأهمية من دراسة هذا الموضوع إلى رغبة الباحث في تغطية جانب مهم من تاريخ جهاد عمر المختار، وخاصة في الجانب المتعلق بفشل الإيطاليين في إنهاء المقاومة في ليبيا، ومحاولة الجلوس مع عمر المختار لإنهاء القتال سلميا، ورضوخ الحكومة الإيطالية للاستماع إلى كل مطالب عمر المختار، والقرب من تلك الجلسات ومادار فيها من نقاشات، وما مدى تقبل الإيطاليين لتلك المطالب، وكذلك إبراز تراجع بادليو وتنصله من كل ما تعهد به.

ويمكن صياغة اشكالية الدراسة في محاولة الإجابة على عدة تساؤلات، كان من أبرزها، كيف تمت هذه المفاوضات؟ وأين دارت تلك الاجتماعات؟ ومن هم الضباط الإيطاليين الذين قاموا بتلك المهمة؟ وماهي النقاشات التي كانت تدور في تلك الجلسات؟ وما موقف عمر المختار ورفاقه منها؟ وهل كانت شروط عمر المختار تجد قبولا؟ وماموقف الحسن الرضا السنوسي منها؟

وعلى هذا قسمت الورقة إلى ثلاثة مباحث للإجابة عن تلك الاسئلة بشكل مفصل، وقد اعتمد الباحث على عدة مصادر ومراجع كان منها محمد طيب بن إدريس الأشهب في كتابه عمر المختار، ومحمد فؤاد شكري، في كتابه السنوسية دين ودولة، والطاهر أحمد الزاوي في كتابه عمر المختار

الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا، وانزوسانتاريللي وآخرون، في كتابه عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشستي لليبيا. ويوسف عبدالهادي الحبوش في كتابه عمر المختار الحقيقة المغيبة، وغيرها من الكتب القيمة التي أشارت إلى موضوع البحث.

المبحث الأول: التمهيد والمفاوضات التي سبقت لقاء بادليو بعمر المختار

تمهيد:

في إبريل سنة 1923م أُبلغ الأمير محمد إدريس السنوسي في محل إقامته في مصر من طرف الحكومة الايطالية التي كان يترأسها بينيتو موسيليني بأن معاهدة الزويتينة 1916م، ومعاهدة عكرمة 1917م، ومعاهدة الرجمة 1920م، ومعاهدة بومريم 1921م، التي أبرمت مع الأمير إدريس في السابق، قد ألغيت، وأن الحكومة الإيطالية ستقوم بإعادة احتلال ليبيا من جديد.[1]

تجهز موسيليني وقام باستبدال بعض القيادات الإيطالية ببرقة، فعلى سبيل المثال كلف الجنرال تيروتس واليا على بنغازي، مكان الجنرال مومبيلي، واستبدل القيادة الإيطالية ببرقه، بالجنرال ميزتي، وضخ جيشه بعدد كبير من الجنرالات، والضباط من أجل اخماد الثورة التي لازالت مشتعلة في الجبل الأخضر، وقد شهدت الفترة من 1923م- 1927م مواجهات عسكرية ضد معسكرات عمر المختار، حيث قامت الجيوش الإيطالية بالهجوم على الأدوار المختلطة التي اتفق عليها في معاهدة أبومريم سنة 1921م، والاستيلاء على أسلحة المجاهدين، ومن ثم تمكنت خلال فترة قصيرة من الاستلاء على عدة مناطق منها تاكنس، والأبيار، والمخيلي، وخولان، وسلنطة، وعكرمة، وبهذا أصبحت هذه المناطق قواعد للجيش الإيطالي ساعدت على مناوراته في المناطق المجاورة.[2] وقد قابلها عمر المختار بمواجهات عنيفة متفرقة في أنحاء واسعة من الجبل الأخضر، وحقق انتصارات كبيرة من أشهرها معركة سيدي جبريل، بمنطة فرزوغة بالمرج في 3 فبراير 1924، ومعركة مراوة 17 مارس 1924م، ومعركة المرج 19 مارس 1924م، ومعركة مراوة 9 ابريل 1924م، ومعركة الرحيبة 28

---

[1] محمد طيب بن إدريس الأشهب، **عمر المختار**، منشورات مكتبة القاهرة، القاهرة، 1958، ص 56. ليلى الصباغ، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، 1992، ص 289.

Eileen Ryan, **Italy and the Sanusiyya: Negotiating Authority in Colonial Libya, 1911-1931**, PhD in Philosophy, the Graduate School of Arts and Sciences, COLUMBIA UNIVERSITY, 2012, p, 187.

[2] رودلفو غراسياني، **برقة الهادئة**، ترجمة إبراهيم سالم بن عامر، منشورات دار مكتبة الأندلس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1983، ص ص 31، 32.

مارس 1927م[3] التي أسفرت عن مقتل مايقرب من 312 جندي إيطالي، ومعركة بئر الزيتون 10 يوليو 1927م، ومعركة رأس الجلاز 13 يوليو 1927م، ومعركة أم الشفاتير (عقيرة الدم) 27- 28 أبريل 1927م، التي استشهد فيها 200 مجاهد، كان من أبرزهم حسين الجويفي البرعصي قائمقام دور منطقة شحات.[4]

وتمكنت القوات الايطالية سنة 1927م من استمالة السيد الرضا المهدي السنوسي، ونفيه إلى جزيرة اوستكا، ونجح الايطاليون في احتلال برقة البيضاء، وجزء كبير من برقة الحمراء. ومن دون مقاومة عنيفة تمكنت إيطاليا من السيطرة على واحة الجغبوب في 8 فبراير 1926م، وكذلك احتلت الجفرة، وجزء كبير من فزان بالإضافة الى زلة في الفترة من 22 – 25 فبراير 1928م.[5]

1- المارشال بادليو وبدء المفاوضات مع عمر المختار.

كان موسيليني يعلم جيداً بأن المقاومة لازالت تشكل عائقا يصعب القضاء عليه، ولذا اضطر إلى إعادة النظر في إستراتيجيته، خاصة بعد تمكنه من توحيد الحكم في كل من اجدابيا، وسرت، وضمهما في مستعمرة واحدة، وأن يكلف ضباطا جدد بخطط مدروسة، فقام في 24 يناير سنة 1929م بتعيين القائد العسكري المارشال بادليو[*] واليا على ليبيا، وفي الوقت نفسه استبدل حاكم برقة الجنرال تيروتسي بالجنرال سشيلياني، وأيضا قام موسليني بإلغاء نظام الولايتين بحيث تكون فيه برقة وطرابلس تحت قيادة الحاكم الجديد بادليو، فقام هذا الأخير بواسطة طائراته إلقاء آلاف المناشير في أماكن متفرقة في الجبل الأخضر، ووادي الشاطئ في الجنوب، تحث السكان إلى الخضوع والاستسلام، وقد جاء في

---

[3] محمد علي التركي، **حركة الجهاد العربي الليبي في الفترة من بداية سنة 1924 إلى مارس 1927**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000، ص ص 122، 157.

[4] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص 73. خليفة محمد التليسي، **معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911- 1931**، منشورات الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983، ص ص 78، 79. محمد شلبي، **حياة عمر المختار**، منشورات دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، 1996، ص 98.

[5] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص 73. محمد شلبي، المرجع السابق، ص 114. محمد علي التركي، المرجع السابق، ص 155.

[*] ولد بادليو بشمال ايطاليا في 28 سبتمبر 1871، ودرس في الأكاديمية العسكرية في تورينو، خدم في الجيش الإيطالي من عام 1892م، وتدرج حتى أصبح رئيس أركان حرب القوات المسلحة، وشارك في حرب اريتريا 1896، وليبيا م1912، وأتم مهمات خاصة إلى رومانيا، والولايات المتحدة الأمريكية في 1920 و1921. ثم سفير في البرازيل حتى سنة 1924، ثم كلف كحاكم لليبيا سنة 1929/1/24م، وتوفي في نوفمبر 1956. للمزيد أنظر الموقع الإلكتروني https://ar.wikipedia.org/wiki/ . بتاريخ 2023/12/23. الساعة 20:01.

تلك المناشير الإشارة إلى الوضع الممتاز الذي آلت إليها كلا من اجدابيا، وسرت بعد وقوعهم في قبضة الإيطاليين من الاستقرار، وشعور الأهالي بالأمان.[6]

كما تشير تلك المناشير إلى عفو كامل عن المجاهدين إن هم تركوا أسلحتهم ورضخوا للاستسلام، وفي الوقت نفسه اشارت إلى أنه وفي حالة عدم رضوخهم، فإن بادليو سوف يشن حربا شعواء خالية من الرحمة، تستهدف الأسر، ومواشيهم، وسيبقى ألمها عالقا بالأذهان.[7]

إلا أن بادليو سرعان ما تراجع عن تلك التهديدات، ورأى من الأفضل أن يقوم بجولة من المفاوضات مع عمر المختار، ومن الممكن أن نفسر هذا التغيير السريع في مشروعه إلى عدم قدرة الحكومة الإيطالية على تليبت كل احتياجاته العسكرية، وأيضا لعدم معرفته بالمنطقة، فهو لم يزر ليبيا إلا ثلاثة مرات فقط. وأيضا لاختلاف برقة عن طرابلس التي خضعت له بسرعة، ففي الجبل الأخضر يختلف الوضع بسبب الارتباط الوثيق بين القبائل وعمر المختار، الذي كان غاية في التعقيد. فكل هذه العوامل دفعت بادليو إلى إجراء تلك المفاوضات حتى يستفيد من الوقت، أو قد يتحصل على شروط لصالحه وتكون مذلة لعمر المختار.[8]

اتخذت أولى الخطوات بلقاء الإيطاليين مع الأمير محمد إدريس السنوسي في مصر بفندق كلاريج بالإسكندرية، وذلك من أجل فتح باب المفاوضات بينهما حتى يمكن الوصول إلى آلية لإيقاف تلك الحرب التي قاربت العقدين، والوصول إلى سلام دائم، ووجد هذا اللقاء ترحيبا، وعدم ممانعة من الأمير إدريس، الذي أبلغ عمر المختار بترأس تلك المفاوضات، وأن يتعهد باستمرارها، والحفاظ على الهدوء خلال هذه اللقاءات.[9]

---

[6] عبدالوهاب محمد الزنتاني، **الجهاد الوطني أدب وتاريخ**، منشورات دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006، ص 186. نقولا زيادة، **برقة الدولة العربية الثامنة**، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1950، ص 72. صلاح العقاد، **ليبيا المعاصرة**، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص ص 33، 34.
MAJ Alessio Battisti, **of the Italian Counterinsurgency Operations in Tripolitania and Cyrenaica between 1922 and 1931,** School of Advanced Military Studies, US Army Command and General Staff College, Fort Leavenworth, KS, 2021, p, 66.

[7] ن. إ بروشين، **تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969**، ترجمة عماد حاتم، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الثانية، 2001، ص 235. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ص 33،34.

[8] رودلفوغراسياني، المصدر السابق، ص 48.

[9] يوسف عبدالهادي الحبوش، **عمر المختار الحقيقة المغيبة**، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، 2017، ص 334.

وعلى هذا نشط بعض الزعماء والمشايخ الراغبين بالسلام، وبإلحاح من الحكومة الإيطالية بالإسراع إلى الاتصال بعمر المختار لتنفيذ أولى خطوات تلك المفاوضات التي أعاز فيها بادليو إلى الكولونيل باريلا متصرف المرج بمراسلة عمر المختار بهذا الشأن، وهذا ما قام به الكولونيل باريلا حين قام في 11 مارس 1929م بإرسال الشيخ موسى المسماري إلى عمر المختار يحمل كتابا منه برغبته في مقابلته، ولكن الكولونيل باريلا لم ينتظر الرد الذي كان تحت الدراسة، فقام بإرسال حملة عسكرية منتهزا فرصة انشغال المجاهدين بعيد الفطر، فباغتت القوات الإيطالية عمر المختار ورفاقه في وادي المنجل، ودارت بينهم معركة استمرت حتى العصر، انتهت بهزيمة الإيطاليين ومقتل قائد الحملة.[10]

كان المارشال بادليو غير راضي عن تصرف الكولونيل باريلا المتسرع، والذي اتخذه من تلقاء نفسه، فاضطر بادليو إلى إرسال الجنرال جوزيبي دودياش متصرف درنة، لاستكمال المفاوضات، والتي قام فيها هذا الأخير بإرسال كتابا إلى عمر المختار في 14 مارس 1929م، يطلب فيه ملاقاته في بيت الشيخ علي باشا العبيدي، ولكن عمر المختار طلب من الحكومة الإيطالية، وكحسن نية في سير المفاوضات أن تطلق سراح السيد محمد الرضا من منفاه بجزيرة اوستيكا، وفي هذا الصدد قام كلا من عمر المختار، والحسن بن السيد الرضا بمخاطبة بادليو مباشرةً يعلمانه بأن سير المفاوضات مرهونا بإطلاق سراحه من منفاه، وقد قامت بالفعل الحكومة الإيطالية بإطلاق سراحه، وحين تأكد لعمر المختار من أن الحسن بن السيد الرضا قد وصل إلى بنغازي، وافق على قبول المفاوضات.[11]

وبالفعل تم اللقاء بين الوفد الايطالي وعمر المختار في 20 مارس 1929م، وكان الفريق الايطالي يضم الجنرال جوزيبي دودياش وعدد من الضباط إلى جانب بعض من مشايخ البلاد، وأعيانها، كان في أبرزهم عمدة العبيدات عبدالقادر بوبريدان، ولكن هذا اللقاء فشل في الوصول إلى نتيجة بينهما، فاتفقوا على أن يكون بينهم لقاء جديد حدد في 27 مارس في منطقة القيقب.[12]وكان عمدة العبيدات عبدالقادر بوبريدان قد عرض على الإيطاليين بعد انتهاء اللقاء بعض المطالب التي كان قد استنتجها من اللقاءات التي دارت بينه وبين عمر المختار ورفاقه قبل التاريخ المذكور، والتي لازالت

---

[10] الطاهر أحمد الزاوي، **عمر المختار الحلقة الاخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا**، منشورات المدار الإسلامي، الطبعة الثانية، بيروت، 2004، ص ص 119، 120. محمود الشنيطي، **قضية ليبيا**، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 111.

[11] شكري، محمد فؤاد، المصدر السابق، ص 293.

[12] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 119، وهبي أحمد البوري، **عمر المختار وغراتسياني**، منشورات مجلس الثقافة العام، 2010، ص 111. محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 111.

تحت التشاور ، ولم يتسلمها الايطاليين بشكل رسمي من عمر المختار، وكانت هذه المطالب تتلخص في الآتي:

1- أن تعترف إيطاليا بالسنوسية كطريقة دينية، مقابل تخصيص رواتب لأفراد العائلة السنوسية.

2- أن تعترف إيطاليا وتحترم الزوايا السنوسية، وتلتزم بدفع مرتبات القائمين عليها، وكذلك زعماء القبائل.

3- أن تعترف بملكية العائلة السنوسية للأراضي المحيطة بالكفرة والجغبوب.

4- الاعتراف بالأمير إدريس، والسيد أحمد الشريف كزعيمين وشيخين للحركة السنوسية.

5- إعفاء العائلة السنوسية وأملاك الزوايا من الالتزامات الضريبية.[13]

وفي 27 مارس التقى عمر المختار في القيقب بالجنرال دودياشي والكولونيل لوبيلو، وحين تحدث هذا الأخير قال إن دينكم ونبيكم لايجبرونكم على مقاتلة الدولة التي لا طاقة لكم بها حفاظا على حياتكم، ونحن كحكومة نرى إن تسليم سلاحكم، والدخول في طاعة الحكومة الإيطالية، أفضل لكم في مقابل منحكم رواتب شهرية مجزية لكم ولا أتباعكم.[14]

غضب عمر المختار من هذا الأسلوب المستفز وقال له" **أنا أعلم عنك أنك ارتكبت من الشدة مع الأهالي الخاضعين لكم ما دل على أنك رجل لاتريد الخير لهذه البلاد ولا لحكومتك. وها أنت اليوم تطلب منا تسليم السلاح، وتهددنا بجيوش حكومتك في مجلس أنت دعوتنا إليه للتفاهم فيما يحل هذه المشكلة القائمة بيننا وبينكم. أما قوة حكومتك التي تهددنا بها فقد عرفنا آخر ماعندكم منها. وهانحن واقفون أمامها نحو ثماني عشرة سنة ولازلنا بعون الله كما كنا.**" ونظرا لهذا الانفعال الذي دار في أول الاجتماع انتهى دون نتيجة.[15]

ولأن بادليو كان يسعى إلى مواصلة المفاوضات فإنه خاطب الكونيل باريلا يوم 30 مارس للاجتماع بعمر المختار في الشليوني بالقرب من المرج، وبالفعل تم اللقاء بينهم في 6 إبريل، وحين بدأت الجلسة قال باريلا مخاطبا عمر المختار، إنني ما جئت لكي اغضبك كما فعل كلا من لوبيلو، ودودياشي، وإنني وفي هذا اللقاء جئت فقط للبحث عن الوسائل التي من خلالها يعم السلام بيننا. وحين

---

[13] رودلفوغراسياني، المصدر السابق، ص ص 49، 50.
[14] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 120.
[15] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 120.

سمع عمر المختار كلامه قال أنا في مقدمة من يوافق على كل مايجلب للبلاد الراحة والسلام. ولكنني اشترط ضرورة حضور السيد محمد الرضا للاجتماع، وبهذا انتهى اللقاء الذي ساده الاحترام المتبادل بينهم، وفي نهاية هذا اللقاء اتفق على أن يكون اجتماعهم القادم في وادي القصور بتاريخ 20 إبريل 1929م.[16]

وفي 20 إبريل عند بئر المغارة، بوادي القصور، التقى عمر المختار بالفريق الذي كان يترأسه باريلا وبرفقته خالد الحمري، وعبد الله بلعون مدير المرج، ورويفع فركاش وعلي باشا العبيدي، وبحضور السيد محمد الرضا، وكان حضور هذا الأخير بتعهد من السيد الشارف الغرياني الذي وعد بإرجاعه إلى بنغازي فور انتهاء الاجتماع، وقد عرض مندوبوا الحكومة على المختار أمورا ثلاثة وعليه أن يختار من بينها، وهو الذهاب إلى مصر أو إلى الحجاز، أو البقاء في برقة، وإن اختار برقة فإن الحكومة الإيطالية ستعامله بمكانة تليق به، وبالمحافظة على مركزه، والرجوع إليه في القضايا التي تتعلق بالأهالي، وستمنحه خمسين ألف ليرة كراتب ثابت، وهي أعلى منحة تدفعها الحكومة للأشخاص المقربين منها، والذين لاتتجاوز مرتباتهم العشرة آلاف ليرة، ولكن عمر المختار قال ماقبلت الجلوس للمفاوضات للاستماع إلى هذه المهازل، وإننا لا نحارب من أجل الحصول على مثل هذه الترهات، فموقفنا بخلاف ماتعتقده إيطاليا، وإن غايتنا فوق إدراكها. فالمسؤولية حقوق أمة ضحت بما يقرب من نصف سكانها، وضاعت الكثير من أراضيها، وجرحت في دينها وديست كرامتها، إن اجتماعنا يجب أن يكون في إطار قضيتنا الوطنية بكل جوانبها، وإلا سوف أضطر إلى التوقف عن مواصلة الاجتماع الذي لم أتوقع أن يكون بهذه الصورة. أحس الايطاليون بالحرج، وبعد جهد ومحاولات الإصلاح، وما يتطلبه الموقف من توسلات وتدخلات، تم الاتفاق على مواصلة المفاوضات في تاريخ سيحدد لاحقا.[17]

وبالفعل تم اللقاء بينهما في 26 مايو 1929م بالقرب من القيقب، وحضر عمر المختار ورفاقه، ومن الجانب الإيطالي حضر الجنرال دودياشي الذي كان يحمل شروط حكومته التي تلخصت في ستة نقاط وهي كالاتي:

1- يسمح بالعودة لكل من السيد أحمد الشريف، والسيد محمد إدريس السنوسي، والسيد صفي الدين، إلى برقة، ولكن تحت إشراف الحكومة كشرط أساسي، وأن تكون عودتهم إلى برقة بتراخيص، وأن تتعهد

---

[16] شكري، محمد فؤاد، المصدر السابق، ص 294. الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 120.

[17] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص ص 105، 106، 108. الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 121.

الحكومة الإيطالية بمعاملتهم بما يليق بمراكزهم، تماما كالمعاملة التي يتمتع بها السيد محمد الرضا السنوسي.[18]

2- أن تحترم الحكومة الإيطالية الزوايا السنوسية، وأوقاف السنوسيين، مع تعهدها بدفع رواتب كل شيوخها.

3- إعادة كل أملاك العائلة السنوسية.

4- تعفى أملاك، وزوايا السنوسيين من الضرائب.[19]

5- تسليم نصف الأسلحة التي بحوزة المجاهدين مقابل دفع الحكومة الإيطالية ألف ليرة إيطالية عن كل بندقية يتم تسليمها. على أن ينظم نصف الباقي من المجاهدين المسلحين إلى معسكرات تقوم الحكومة بأنشائها، وتشرف على إدارتها لمدة معينة، حتى تتمكن من إنشاء أماكن لأقامتهم، يمكن منها إمدادهم بالمؤن، وأيضا تشديد الرقابة عليهم.

6- تتعهد الحكومة بدفع رواتب الإخوان السنوسيين، لتكون مناسبة مع مراكزهم، بشرط إبعادهم عن الأدوار.[20]

وعندما استمع عمر المختار إلى تلك الشروط اعترض على الفقرة التي تتعلق بحل الأدوار وبتسليم السلاح، مقترحا أن تبقى الأدوار بكامل سلاحها، وتحت إشراف السيد حسن محمد الرضا، وأن يكون للحكومة الإيطالية نوعا من الإشراف العام فقط. مستندا إلى أن بقاء الأدوار سيوفر على الحكومة أمولا طائلة. وأن الحسن في إمكانه توفير كل احتياجات الدور من أموال العُشر التي تجمع بانتظام حسب الشرع الاسلامي. وقد وجد رد عمر المختار تأييدا من عبدالحميد العبار، ولكن دودياشي رفض عرض المختار، ونتيجة لعدم التفاهم، واعتراض دودياشي انتهى الاجتماع دون تفاهم.[21]

وفي 29 مايو تم اللقاء بين الوفدين في منطقة القيقب، في نجع علي باشا العبيدي، حضر من الإيطاليين الجنرال دودياشي والكولونيل لوبيلو، رفقة أعيان من البلاد كان من بينهم عبد القادر بوبريدان، ومحمد الصيفاط، وعلي باشا العبيدي، ومحمد بوشديق، ومحمد بوفارس، وخالد الحمري، ورويفع

---

[18] رودلفوغراسياني، المصدر السابق، ص 53.
[19] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 295.
[20] رودلفوغراسياني، المصدر السابق، ص 54.
[21] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص ص 295، 296.

فركاش، ووصل عمر المختار بحراسة مئة وخمسون فارسا، وبرفقته الحسن الرضا، وعبد الحميد العبار، والفضيل بوعمر، وأحمد الغماري. وحين انتهوا من تبادل التحايا شرعوا في بدأ المفاوضات التي شرح فيها عمر المختار مطالبه بصورة كافية، مع تذكيرهم بأن مندوبي الحكومة الإيطالية- أي الطرف المفاوض من طرف الحكومة الايطالية- هم المسؤولون عن إفشال المفاوضات المتقدمة، وذلك بسبب ما يظهرونه من التشدد أثناء المفاوضات، وفي كثير من الاحيان يخالفون وعودهم.[22]

وعلى هذا قال عمر المختار لابد وأن تكون المفاوضات بحضور مندوبا من الحكومة المصرية، ومندوبا آخر من الحكومة التونسية، حتى تكون دليلا على مصداقية الطرفين، ورغبة حقيقية في الاتفاق، ولكن دودياشي اعترض على اقتراح عمر المختار، قائلا لا ضرورة لحضور مندوبين من مصر وتونس، فنحن لم نخنكم طيلة 18 سنة، ولم نفعل مايخل بالمروءة.[23] وحينها غضب عمر المختار، وأخذ يذكر له مساوئهم التي تقوم بها حكومتهم، مبينا له الجرائم التي قام بها الكولونيل مزيتي بقبيلة العبيدات التي كانت مسالمة لهم، والاستيلاء على كل مايملكون، حتى حليّ النساء التي في آذانهن لم تسلم من نهبكم. وأيضا تلك الجريمة البشعة التي قام بها الكولونيل لوبيلو بعائلة إبراهيم من قبيلة العواقير المسالمة لحكومتكم، حين قام بقتل أربعين رجلا بالرصاص، في الوقت الذي أمر فيه السيارات بدهسهم ذهابا وإيابا إلى أن اختلطوا بالتراب.[24]

استمر عمر المختار في ذكر الأحداث المأساوية التي أقدم عليها الإيطاليون، حتى تدخل الحاضرون من الأعيان وقاموا بتهدئة الموقف، وأكد الأعيان على أن هذا اللقاء ماجئناه للمعاتبة، وإنما جئنا للتفاوض حول مصلحة الوطن، فقال عمر المختار "**أنا أحرص الجميع على هذا ولكن الشيء بالشيء يُذكر**".[25]

وعلى هذا رجع الجميع وبهدوء نحو طاولة التفاوض، واقترح الحاضرون أن يكون لليبيين من الامتيازات مثل التي يتمتع بها إخوانهم في تونس ومصر، وهنا أبدى عمر المختار موافقته على هذا الاقتراح، بشرط أن تتعهد الحكومة الإيطالية بالالتزام بهذا المقترح. في الوقت الذي علق فيه الجنرال

---

[22] رودلفوغراسياني، المصدر السابق، ص 51.الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 122.

[23] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 296.

[24] عبد الخالق النجمي، **الشيخ الجليل عمر المختار**، منشورات دار أمجد للنشر والتوزيع، الأردن، 2016، ص ص 73، 74.

[25] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 122.

دودياشي بأن رغبة حكومتي الأكيدة هي راحة البلاد، ولا أعتقد بأن حكومتي سوف تتأخر عن قبول مثل هذا المطلب. وعلى هذا انتهت جلسة التفاوض على أن يقوم الجنرال دودياشي بمراجعة حكومته.[26]

2- إجتماع قندولة 6 يونيو 1929م.

وفي 6 يونيو بمنطقة قندولة كان الجنرال سيشلياني وكيل الوالي في بنغازي أبرز الحاضرين، وبرفقته الكولونيل باريلا، والملازم كانباني، وصحبة ضباط آخرين إلى جانب بعض المشايخ، والأعيان المنطويين تحت الحكومة الايطالية، وفيما يبدو أن الايطاليين كانوا عازمين على الإيقاع بعمر المختار، والقبض عليه، ولكن هذا الأخير أيقن بالمكيدة، فقام بتوزيع فرسانه إلى قسمين بحيث يكون كل قسم مقابل قسم من جنود العدو.[27] وعند إذن تحدث سيشلياني عن ما تجره الحرب على الطرفين، والبلاد من خراب ومتاعب، وأنه جاء هنا باسم المارشال بادليو حاكم برقة وطرابلس، ليقول إن بادليو يحمل نوايا حسنة لهذه البلاد، وعازما على بذل كل جهده في سبيل إراحة البلاد لصالح الطرفين. وعلى هذه المقدمة شكره عمر المختار، وقال له لقد سئمنا الحديث عن الأماني التي تريدون تحقيقها، ولكن نحن أحوج إلى العمل من الكلام، فقال سيشلياني أنا ماجئت اليوم إلا لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه في الجلسة السابقة، وأرجوا من سيادتك طرح شروطكم. فقال عمر المختار: إن مطالبنا تتلخص في الآتي:[28]

1- عودة المهجرين من مصر، وعلى رأسهم الأمير محمد إدريس السنوسي إلى برقة، وحق الإدارة الوطنية في جباية الزكاة.

2- حضور مندوّبين عن الحكومة المصرية والتونسية للوقوف على هذا الاتفاق. وأن يتحمل ناقض العهد منا مسؤولياته أمام العالم بشهود المندوبّين المصري وتونسي.

3- لا تتدخل روما في المسائل الدينية، وأن يُعترف باللغة العربية في الدوائر الحكومية الإيطالية.[29]

4- يعاد فتح المدارس التي تدرس علوم الدين من الحديث والتوحيد والفقه والتفسير، والسماح بفتح مدارس أخرى لتعليم اللغتين الإيطالية والعربية.

---

[26] المرجع نفسه، ص 122.

[27] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 295.

[28] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص 108. شكري، محمد فؤاد، المصدر السابق، ص 295. الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 123.

[29] محمد حمزة الحلبي، **عمر المختار حياته وعصره**، منشورات الدار العربية للكتاب، بيروت، بدون تاريخ، ص 106. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 34. ن. إ بروشين، المرجع السابق، ص 239.

5- تكون مسئولية إدارة الأوقاف بإشراف هيئة مسلمة.

6- تقوم الحكومة الإيطالية بإرجاع الأرضي المغتصبة.

7- تكون هناك حرية كاملة في حمل السلاح، وتهريبه من خارج البلاد، في حال امتنعت السلطات الإيطالية عن بيعه للمختار.

8- يحق للأهالي أن يختاروا برغبتهم رئيس الأمة الليبية.

9- إلغاء شرط التجنيس الذي وضعه الطليان للمشاركة في الحياة السياسية أو تولي الوظائف.[30]

10- أن تكون هناك حرية للقاضي في الفصل بين الأهالي دون التدخل من الإيطاليين. وليس للحكومة الحق في التدخل في شئون الدين الإسلامي. وبعد الإنتهاء من سماع سيشلياني لشروط المختار، تعهد بعرضها على بادليو، على أن ينتظر عمر المختار الرد في اقرب وقت ممكن.[31]

المبحث الثاني: لقاء سيدي ارحومة وتبعاته.

1- اجتماع سيدي ارحومة 19 يونيو 1929م.

قبل أسبوع من هذا اللقاء، كان سيشلياني قد تقابل مع عمر المختار في يوم 13 يونيو في المرج، في مكان يعرف بحصن العقبة، وقد أكد فيه كلا من الطرفين رغبتهم الصادقة بتطبيق كامل بنود الاتفاق، وفيما يبدو من هذا الاجتماع كان تمهيداً للقاء سيدي ارحومة.[32] وبالفعل التقى الوفدين في 19 يونيو في مكان يعرف بأسم سيدي ارحومة بالقرب من المرج بستة كليومتر، وقد مثل الجانب الإيطالي المارشال بادليو ويرافقه الجنرال سيشلياني، وعدد من الضباط، وبعض السياسيين، وعدد من الأعيان مثل الشارف الغرياني، وعبدالقادر بوبريدان، وعلي باشا العبيدي، وعدد آخر من شيوخ القبائل، جاءوا في أربعة سيارات.[33] في حين وصل عمر المختار في حماية 400 فارس، ورفقة كلا من عبدالحميد العبار، والفضيل بوعمر وغيرهم من القادة، وجلس الطرفان وجه لوجه، وبعد الانتهاء من الترحيب قام

---

[30] محمد حمزة الحلبي، المرجع السابق، ص ص 106، 107. ن. إ بروشين، المرجع السابق، ص 238.

[31] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 124. محمد محمود إسماعيل، **عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء**، منشورات مكتبة القرآن، القاهرة، بدون تاريخ، ص 32. صلاح العقاد، **ليبيا المعاصرة**، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970، ص 35.

[32] عبد الخالق النجمي، المرجع السابق، ص ص 74، 75.

[33] رودلفوغراسياني، المصدر السابق، ص 57. الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 124.

الكولونيل باريلا بالتعريف بينهم، وفي هذا الوقت كان عمر المختار يظن بأن المارشال بادليو جاء مرحبا بالشروط التي سبق للمختار أن طرحها في الجلسة السابقة، ولكن المختار استمع إلى بادليو الذي قال أنني سعيد بهذا الاجتماع، وإن رغبتي انجاح الاتفاق حتى تعم الطمأنينة والراحة ربوع البلاد، وأن تنتهي هذه الحرب حتى يتمكن المهجرين من العودة إلى البلاد، ونستطيع إعادة العمران الذي توقف بسبب الحرب، ولولاها لكانت البلاد في وضعية أفضل مما نراه اليوم.[34] ومن هذا الحديث شعر عمر المختار بأنه هو المتسبب في تأخر البلاد، وعندها قال عمر المختار موجها كلامه إلى بادليو "**صحيح إن البلاد كانت في حالة أخرى لولا هذه الحرب. ولولا هذه الحروب أيضا لما رأيت فيها عربيا يمشي على وجه هذه الأرض، ولا رأيت فيها إيطاليين يسكنونها، ويعمرون دور الوطنيين**".[35]

وحين شعر بادليو بإنفعال عمر المختار، قال لم أكن أقصد ماذكرت، بل إنني كنت أتمنى لو إننا اهتممنا بالعمران، وأقمنا المزارع وأنشأنا الطرق، والقرى، وشجعنا التجارة، والصناعة، وأتمنى أن ينتهي اجتماعنا على صلاح هذه البلاد. وحينها قال عمر المختار إن حكومتكم تعهدت معنا في مرات عدة، ولكنها لم تفِ بتعهداتها، ولكن إن كنتم تريدون فعلا راحة البلاد فلا مشكلة لدينا بشرط حضور مندوبا من الحكومة التونسية، ومندوبا من الحكومة المصرية للاتفاق على الشروط التي سلمت في الجلسة الماضية إلى وكيلكم الجنرال سيشلياني، وبذلك يكون كلً منا قد ساعد على راحة البلاد، وبرهن على حسن نيته وصدقه.[36]

وعلى هذا أعيدت تلك الشروط على لسان الفضيل بوعمر، مستمعاً إليها بادليو بنفس ماتما الاتفاق عليها في الجلسة السابقة، وتسلّمها بادليو عن رضى.[37] وأضافه بادليو قائلا إن المفاوضات ستستغرق بعض الوقت؛ ولذا طلب من عمر المختار عقد هدنة لمدة شهرين، مع امكانية تجديدها لفترة أطول، على أن تستغل هذه الهدنة في فتح الأسواق، مع توقف كامل لكل العمليات الحربية.[38] وتعهد بادليو قبل انتهاء الجلسة بحضور المندوبين لحضور الاجتماع القادم والذي سوف يعلم المختار عنه في حينها.[39] وبنهاية اللقاء تبادل الطرفان الهدايا، فقام بادليو بإهداء عمر المختار ورفاقه ساعات

---

[34] وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 115.
[35] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 127.
[36] المرجع نفسه، ص 127.
[37] محمود الشنيطي، **قضية ليبيا**، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951، ص 114.
[38] عبد الخالق النجمي، المرجع السابق، ص 75. وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 115.
[39] الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 127.

ذهبية، في حين قدم عمر المختار فرساً عربية أصيلة لبادليو، ومن ثم التقطت صور تذكارية للمجتمعين.[40]

ومن خلال هذا الاجتماع أصبحت الدلائل تشير إلى أن هناك نية صافية لإنجاح المفاوضات، وذلك من خلال قبول الإيطاليين لكل الشروط التي أصر عليها عمر المختار، في الوقت الذي عمت فيه الفرحة المهجرين في مصر بانتهاء محنة المعاناة والحرب، وأن أمل العودة إلى وطنهم أصبح ليس ببعيد.[41]

كان قبول بادليو لتلك الشروط بدافع تضليل السكان على أن تلك الحرب قد انتهت، وهذا ماتبين حين وصل إلى بنغازي من نفس اليوم 19 يونيو، وقام بإصدار منشور استفزازي يعلن فيه عن استسلام عمر المختار، وكل رجاله، وفي الوقت نفسه أبلغ حكومته في روما، عن هذا الاستسلام دون أن يذكر لحكومته شيئا عن تلك الشروط التي استلمها من عمر المختار، أو حتى عن دوافع استسلام عمر المختار المفاجئ، وحين وصل بادليو إلى مقره في طرابلس عقد مؤتمرا صحفيا أعلن فيه نهاية المقاومة في الجبل الأخضر، واستسلام عمر المختار.[42]

وبسماع عمر المختار لهذه التصريحات الغريبة من بادليو اندهش، كما اندهش العالم العربي لهذا النبأ، فهذه التصريحات أحدثت بلبة في صفوف الناس، والمجاهدين أنفسهم؛ لبعدها عن الحقيقة، فهذا الادعاء من بادليو تكذبه الجلسات التي دارت بين المختار والإيطاليين لمدة شهرين، وإن لتصريح بادليو المتسرع دوافعه الشخصية المتعلقة بمعارضة الأوساط الاستعمارية الإيطالية التي كانت رؤيتها للمفاوضات مضيعتا للوقت، وإن هذه المبادرة من بادليو هي مؤشر عن ضعفه، فهذه المفاوضات تصطدم مع توجهات هذه الأوساط الاستعمارية التي لها أسبابها المتعددة كالمصالح التي تتعلق بالتدرج في الوظائف، والعزة القومية، وأحقاد عنصرية، وأسباب تجارية، وأخرى تتعلق بالترقيات.[43] وأيضا إلى غيرة بعض القادة الكبار مثل وزير المستعمرات الإيطالية دي بونو الذي رأى في استقلالية بادليو وتمتعه بقرارته الأمر العظيم الذي يخالف توجهات موسيليني نفسه، إذ أن دي بونو كان حريصا ألا يفوت

---

[40] وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 115.

[41] وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص ص 115، 116.

[42] محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 114.ن. إ بروشين، المرجع السابق، ص 239.

[43] انزوسانتاريللي وآخرون، **عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشستي لليبيا**، ترجمة عبدالرحمن سالم العجيلي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الثانية، ليبيا، 2005، ص 99.

الفرصة في إبلاغ موسيليني بتلك النتائج الوخيمة من المساومات التي لاتتماشى مع طابع النخوة والقوة التي هي من سمات الحكم الفاشيستي الإيطالي.[44]

بل إن بادليو قام محاولا تبرير موقفه في تقريره الذي قدمه إلى موسيليني حول لقاء سيدي ارحومة نراه يقلب الحقيقة، فيقول إن عمر المختار قال لي " **لاتقل إني كنت متمردا لأنني لم استسلم أبدا، للحكومة قبل اليوم ليس ذلك فحسب، بل لأنني حاربتها، وها أنا استسلم اليوم، والجنرال بادليو في نظري هو أول وال إيطالي سيطر على برقة، واعتبارا من اليوم أصبحت لبرقة حكومة هي الحكومة الايطالية، واعتبارا من اليوم كذلك تدخل برقة في عهد جديد، عهد السلام وأنا تحت تصرف الحكومة**".[45] وفي نفس الوقت قام بادليو بمخاطبة دي بونو ببرقية يقول فيها "**رفضت وبقوة جميع المقترحات التي عرضت علي، وأصررت على عدم قبول الصلح إلا على أساس منشوري الصريح، وغير القابل لأي تأويل**"، مؤكدا على أن الشروط التي قبلها عمر المختار هو تجريده من السلاح، مقابل عفو كامل من الحكومة الإيطالية.[46]

وأما إذ نظرنا إلى تلك المراوغة التي يقوم بها بادليو من تزييف الحقائق، هو ما كان يدور في قناعته من تحقيق انتصار شخصي على عمر المختار، وعلى أمل إنهاء الحرب خلال الأشهر القادمة، ولم يكن في نيته تقاسم السلطة مع عمر المختار، بل كان يصب جم تفكيره في البحث عن طرف أكثر مرونة وبعيداً عن رفع السلاح .[47]

وفي الواقع فإنه أجبر نفسه على الوقوف في موقف صعب، يحتاج منه الكثير من التفطن والحنكة والذكاء، للقتال على جبهتين وهما: جبهة الأوساط الاستعمارية الإيطالية، وجبهة عمر المختار وكلاهما على درجة كبيرة من الانتباه لأدنى هفوة يرتكبها بادليو. وهذا ماكان يدفع بادليو الى طمأنة الأوساط الاستعمارية بأن عمر المختار استسلم من دون شروط تذكر؛ حتى يبعد من طريقه أي تدخل من معارضيه، وفي الوقت نفسه مماطلة عمر المختار بداعي قبول الشروط حول الصلح، وتقاسم السلطة في برقة.[48]

---

[44] وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 117.

[45] انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 97.

[46] المرجع نفسه، ص 98.

[47] المرجع نفسه، ص ص 98، 99. وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 117.

[48] انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 100. وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 117.

وفي تصور بادليو أن الأشهر التي تحصل فيها على الهدنة سوف تمنحه فرصة بث الفساد، والشقاق، والرشوة بين صفوف المجاهدين، وهذا من شأنه أن يفسد كل تلك التنظيمات التي يعتمد عليها عمر المختار، وهذا ماجعل بادليو ومساعده سيشلياني يتعمدان في كل مرة من ادعاء السلام، وإبداء التنازلات، ولكن دون التوصل إلى عقد اتفاقية كتابية.[49]

2- اجتماع سيدي رويفع الأنصاري 20 يوليو 1929م.

انتظر عمر المختار ورفاقه الرد من بادليو شهرا كاملا، للبدء في تنفيذ تلك الشروط، وحين تأخر رده، قام عمر المختار بمراسلة الجنرال سيشلياني يذكره بوعود بادليو، فأجابه سيشلياني بضرورة اللقاء بينهم بالقرب من ضريح سيدي رويفع الانصاري، وفي هذا الاجتماع أبلغ سيشلياني عمر المختار بأن هذه الشروط لابد وأن يتفق عليها في بنغازي، فقام هذا الاخير بتكليف الحسن محمد الرضا ليكون نائب عنه في الإمضاء عن تلك الشروط التي سبق التفاهم عليها في اجتماع سيدي ارحومة 19 يونيو،[50] وحين ذهب الحسن إلى بنغازي، مكث فيها عشرة أيام، كانت كفيلة بأن تبعده عن موقفه، فقد ألتف حوله الايطاليون والمشائخ المنطوين تحت الحكومة الايطالية؛ فبذلوا كل ما بوسعهم من والوعود والأماني المعسولة، فاغتر بوعودهم، وخرج من بنغازي يحمل تعاليم سيشلياني، وهي بعيدة عن مطالب عمر المختار، ولم يكن فيها شرطا واحدا من تلك الشروط الأساسية التي اتفق عليها في اجتماع سيدي ارحومة 19 يونيو.[51] وتتلخص الشروط التي جاء بها الحسن الرضا في الآتي:

1 - من الآن وصاعدا فإن الحكومة الايطالية ستتعامل مع عساكر عمر المختار على أساس دورية وطنية.[52]

2- تكون منطقة جردس العبيد مقرا لاقامة معسكر عمر المختار.

---

[49] انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 100.

NIR ARIELLI, **Colonial Soldiers in Italian Counter-Insurgency**, British Journal for Military History, Volume 1, Issue 2, February, University of Leeds, 2015, p,58.

[50] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 299.

[51] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص 111. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 36. محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 114.

[52] محمد محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 33.

3- تتكفل الحكومة الايطالية بصرف مرتبات لكل الضباط، والعساكر التابعين لعمر المختار، مع الاعتراف برتبهم.

4- أن تكون كل قوات عمر المختار تحت قيادة ضابط إيطالي.

5- يحق للحكومة الإيطالية نقل جنود عمر المختار متى اضطرت لذلك.

6- يسمح للحكومة الإيطالية بتبديل أسلحة رجال عمر المختار بأي سلاح شاءت. [53]

7- يحق للحكومة الإيطالية تسريح رجال عمر المختار متى دعت الضرورة.

8- يحق للحكومة الإيطالية معاقبة كل من ارتكب جريمة من رجال عمر المختار قبل تاريخ هذا الصلح، ولايحق لعمر المختار مناقشة ذلك.

9- يحق للحكومة الإيطالية رفض ضباط عمر المختار الذين لايُجدون اللغة الإيطالية.

10- يحق للحكومة الإيطالية تولي أمر الأهالي الواقعين تحت سيطرة عمر المختار، وأن لايكون لعمر المختار من الأن أي سيطرة عليهم.

11- تمنح الحكومة الإيطالية راتبا شهريا قدره خمسون ألف فرنك للسيد حسن الرضا السنوسي، وتتعهد له ببناء قصرا له في مدينة بنغازي.

12- تمنح الحكومة الإيطالية راتبا قدره خمسون ألف فرنك كل شهر للسيد عمر المختار، وتتعهد بإصلاح زاوية القصور، وتبني له بيتا، ومسجدا، ومئذنة تليق بمقامه، وتتعهد بإحضار معلمين لتعليم الأولاد، وأن تسمح له بالاتصال مع الأهالي.[54]

3- موقف عمر المختار والمجاهدين من شروط الحسن محمد الرضا.

رفض عمر المختار تلك الشروط جملةً وتفصيلا، وقال للحسن "**غروك يابني بمتاع الدنيا الفاني، ورضيت بهذه الشروط المزرية**" . فقال الحسن "**قد اتفقت مع الحكومة على هذه الشروط، ولايمكنني نقضها**". وعلى الفور جمع عمر المختار رفاقه وزعماء القبائل ليطلعهم على تلك الشروط التي أتى بها السيد الحسن، وقال عمر المختار "**أني لا أرضى بهذه الشروط، وأفضل الموت جوعا**

[53] ن. إ بروشين، المرجع السابق، ص 239. محمد محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 33.
[54] محمد محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص 33. ن. إ بروشين، المرجع السابق، ص 239.

وعطشا ولا ألقي بنفسي وإخواني بين أيدي الإيطاليين يتصرفون فينا كيف شاءوا". وطلب عمر المختار من الحضور ابداء رأيهم إن كانوا راضيين عن تلك الشروط أو لا، وقد أكد كل الحضور على أنهم غير راضيين، ولا نوافق على شرطا من هذه الشروط.[55]

في حين قال الحسن يجب عليكم الموافقة، وقبول كل الشروط، فرد عليه الشيخ الشريف القاسم العبيدي قائلا: "**إنك لست خالقا بل مخلوق مثلنا، ولاطاعة لمخلوق في معصية الخالق**".[56] وفي هذه الأثناء غضب الحسن السنوسي وقال "**ليقم معي كل من يريد أن يتبعني**" فانظم إليه عدد من المجاهدين تجاوزو ثلاثمئة رجل، من قبيلتي البراعصة، والدرسة، وخرج بهم للإقامة في غوط الجبل، الواقع جنوب منطقة مراوة، وعلى مسافة ساعتين من النقطة الإيطالية الموجودة بمراوة، وكلفت الحكومة الإيطالية مع الحسن الضابط ميلاكري، وللأسف فإن الحكومة الإيطالية عادت بعد فشل المفاوضات في ديسمبر 1929م واتهمت الحسن بدعوة باطلة بمهاجمة الأهالي قرب مراوة، فقامت بالقبض عليه في 10 يناير 1930م ونفيه إلى جزيرة اوستكا، وقامت بنقله فيما بعد إلى فلورنسا التي أجبر على الإقامة فيها حتى وفاته سنة 1936م. وعلى العموم فإن عمر المختار أمام هذا الانقسام أبتعد عن مراكز الإيطاليين منتظرا رد بادليو، ومنذ ذلك الوقت انقطعت الاتصالات بين عمر المختار، والسيد الحسن الرضا.[57]

المبحث الثالث: المراسلات بين عمر المختار والحكومة الايطالية وماتلاها حتى إعلان نهاية المفاوضات.

1- المراسلات بين عمر المختار وسيشلياني.

تعمد بادليو الإطالة في الرد على الشروط الأخيرة، مما أسفر عن توتر بينه وبين عمر المختار، وتزامنت هذه الإطالة مع نشاط العملاء والموظفين الطليان في بث الفتن في صفوف المجاهدين وحثهم على ترك القتال لقاء الأموال والمغريات والأطعمة التي كانت تقدم اليهم. فقام عمر المختار بمراسلة سيشلياني في 25- 9 - 1929م يطلب منه الإيفاء بعهودهم، والتوقيع على الشروط

---

[55] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص 116. محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 300. محمد محمود إسماعيل، المرجع السابق، ص ص 33، 34. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص 16. محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 114.

[56] محمد حمزة الحلبي، المرجع السابق، ص 107. محمد محمود إسماعيل ، المرجع السابق، ص 34.

[57] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 300. محمد الأخضر العيساوي ، **رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار**، منشورات مطبعة حجازي، القاهرة، 1936. ص 81. محمد حمزة الحلبي، المرجع السابق، ص 108. وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص 119.محمد محمود إسماعيل ، المرجع السابق، ص 34.

السابقة، قائلا له "**إن رجال الحكومة ورؤساء المحادثات يعملون لبث الفتنة بيننا وبين السيد حسن الرضا وبمساعدة بعض المتصرفين الذين يوزعون الغذاء والمأكولات، وهل هذا يتم بمعرفتكم وحسب اوامركم أو لا. وإذا حدث سوء تفاهم لهذا السبب فالمسؤولية تقع على الحكومة لا علينا، وإذا ارتأيتم منع التموين عن الجميع والتخلي عن ماحدث في الماضي، ثم الالتقاء بي سيعم السلام والخير البلاد كلها وسأكون مسرورا إذا ما استلمت ردكم**".[58] ومن خلال رد المختار على سيشلياني يتبين بأن الإيطاليين كانوا يريدون من تلك الاتفاقات التي أجروها مع المختار القرب من معسكراته، ومحاولة استمالة جنوده بالمساعدات الغذائية، وبث الفتن، والتي كانت خطوة خبيثة من بادليو، لإقناع حكومته بأن القضاء على المختار يمكن أن يكون بهذه الإجراءات، التي لاتتم عن قيادات تتمتع بالمحافظة على العهود، ولذلك كان المختار منتبهاً لكل مايأتي من خدمات مزيفة أهدافها بث الفتن بين عناصره.

قام سيشلياني برد على عمر المختار، وكان رده مشروطا بموافقة هذا الأخير على غير ماتفق عليه في اجتماع قندولة يوم 19- 6، وقد شعر عمر المختار من خلال هذه الاجابة بأن الايطاليين ليسوا جادين في مواصلة تنفيذ شروط المفاوضات، ولكي يتأكد من صحة شكوكه قام بمخاطبة بادليو في 9 أكتوبر 1929م. وفيما يبدو من أن سيشلياني لم تعجبه ردود عمر المختار، فقام بمحاولة استمالة عمر المختار بالمال حين قام بإرسال (بالعون) مدير شحات يعرض على عمر المختار مليون فرنك هدية فرفضها.[59]

كان المختار قد كتب إلى بادليو أكثر من مرة لمعرفة سبب عدم رده، ولكنه في كتابه الأخير قال المختار لبادليو "**إني أعد رفض مقابلتي اعلانا منك بقطع المفاوضات، ونقضا للعهد، وإليه فستعود الأمور إلى ماكانت عليه**". ومحذرا بادليو بأن الهدنة التي إتفق عليها في السابق، لن يتم تجديدها بعد 24 أكتوبر 1929م، وسوف يستأنف القتال من جديد بعد هذا التاريخ. وفي الوقت نفسه استلم عمر المختار بعد هذا الخطاب من أبي بكر البرعصي بريدا قادما من بنغازي جاء فيه على لسان مستشار الحكومة في بنغازي السيد الشارف الغرياني "**إن الحكومة مستعدة في كل وقت لمقابلة الحوادث فلا حاجة لإعلانها بعودة الأمور إلى ماكانت عليه**" . وإلى هنا انتهى حديث المفاوضات، بعد

---

[58] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 301. انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 103. محمد حمزة الحلبي، المرجع السابق، ص 107.محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 117.

[59] انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 103. محمد محمود إسماعيل ، المرجع السابق، ص 34.

انتظار دام ستة أشهر، وتحقق للسيد عمر المختار أن الطليان لم يرغبوا في السلام، وإنما فقط كانوا يريدون إطالة الهدنة لكسب الوقت.[60]

2- بيان عمر المختار في 22 أكتوبر 1929م

اتضحت لعمر المختار خديعة بادليو وأن من العار يمثل إيطاليا هذه المفاوضات رجل يتمتع بمركز هام يلجأ إلى الكذب والتحايل والغدر، للقضاء على عدو واقفا لمقاتلته، وهذا مادفع وزير المستعمرات الإيطالية دي بونو بتوبيخ بادليو بسبب ادعائه الكاذب، وأيضا تكتم الصحف والدوائر الإيطالية عن إدعاء بادليو حول استسلام عمر المختار. وعلى العموم فإن عمر المختار حين تأكد له عدم جدية ايطاليا، وتجاهل مطالبه، والمماطلة، وعدم الرد على رسائله، أعلن عن رفضه تجديد الهدنة والرجوع إلى السلاح، وعزم في الوقت نفسه أن يطلع العالم العربي والليبيين أنفسهم على ماحدث خلال مشوار هذه المفاوضات، وإن إيطاليا تتحمل مسؤولية تعهداتها عن رجوع الحرب. لذلك أعلن قراره برفض أي تأجيل، واعتزامه استئناف القتال اعتبارا من 24 اكتوبر 1929م.

وبعدما أوجز في إعلانه الشهير والذي نشر أيضا فيما بعد بصحيفتي الأخبار والمقطم المصرية يوم 3 يناير 1930م الملابسات التي أحاطت بالمحادثات التي جرت، وملاحظة إن الطليان هم الذين أجلوا بحجج واهية الوصول إلى اتفاق نهائي.[61] ويواصل عمر المختار كلامه بقوله" **أوشكت الهدنة الأن على الانتهاء، دون أن أتسلم أي رد من الحكومة الايطالية، لذلك أرى أنه أصبح لزاما علي استئناف القتال، دون أي اعتبار لمحادثات أو تدخل أي وسيط لا تثق فيه الأمة**" . ويردف قائلا " **فليعلم كل مجاهد إن الهدف الوحيد الذي ترمي إلى تحقيقه الحكومة الإيطالية هو زرع الخلافات وحبك الدسائس والفتن بيننا لتمزيق تلاحمنا والقضاء على اتحادنا بحيث يسهل عليها التغلب علينا وانتزاع كل حق من حقوقنا منا، كما حدث مرارا في الماضي، ولكنها لم تفلح في تحقيق شي من ذلك، والحمد لله فليشهد العالم إن نوايانا نحو الحكومة الإيطالية نبيلة، وأنه ليس لنا أي غرض آخر سوى**

---

[60] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص ص 302، 303. انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 103. محمد شلبي، المرجع السابق، ص 121. محمد محمود إسماعيل ، المرجع السابق، ص 34.محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 116.

[61] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 303. أحمد محمود، **عمر المختار الحلقة الأخيرة**، منشورات مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1934، ص91. الطاهر أحمد الزاوي، المرجع السابق، ص 137.

التمسك بحريتنا، بينما تسعى إيطاليا إلى طمس أية حركة وطنية تستهدف النهوض بالشعب وتقدمه" .[62]

ويقول أيضا **"نحن الأن ندافع على بقائنا ونضحي بدمائنا فداء للوطن، وفي سبيل بلوغ الأهداف التي نتوخاها، بناء عليه فإننا غير مسؤولين عن مثل هذا الوضع، وإننا سنواصل الكفاح إلى حين أن يرتدع أولئك الذين يعتزمون استخدام العنف ضدنا فيسلكوا سواء السبيل، ويعاملونا بصدق ووفاء، بدلا من الإغراء والمراوغة والخداع"** .[63]

وعلى هذا الإعلان أوقف عمر المختار المفاوضات من طرفه، بعد تأكده من حقيقة الهدف الحقيقي للإيطاليين الذي كان من أجل اكتساب الوقت، وخلق الدسائس والفتن بين المجاهدين في الجبل الأخضر. وإن الهدنة التي جاءت في اجتماع سيدي ارحومة كانت لمدة شهرين قابله للتجديد، وعلى تلك الشروط التي لم يبدِ فيها بادليو أي ممانعة.[64] ومن جملة تلك الشروط:

1 – إصدار ايطاليا عفو كامل على كل من قام بأعمال سياسية في خارج البلاد أو داخلها مع إخلاء سبيل السجناء السياسيين.

2– انسحاب جميع المعسكرات الإيطالية من مواقعها التي أقيمت بين عامي 1922م– 1928م، وفي أبرزهم حاميتي الجغبوب وجالو.

3– السماح لعمر المختار بجمع الزكاة من الأهالي القاطنين بالقرب من الساحل والمعسكرات الإيطالية.[65]

---

[62] محمد طيب بن إدريس الأشهب، المصدر السابق، ص 117. محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 303. انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص 103. محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي– التاريخ المعاصر بلاد المغرب**، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، 1996، ص 28. محمد شلبي، المرجع السابق، ص ص 121، 122، 123. ن. إ. بروشين، المرجع السابق، ص 239. محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص 117.

[63] انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 103، 104. محمد شلبي، المرجع السابق، ص 123.

[64] محمد فؤاد شكري، المصدر السابق، ص 303. محمود الشنيطي، المرجع السابق، ص ص 109، 117. ن. إ. بروشين، المرجع السابق، ص 239. محمد شلبي، المرجع السابق، ص 124.

[65] أحمد محمود، المرجع السابق، ص 92.

3- الموقف بعد إعلان عمر المحتار إنهاء المفاوضات.

إن الموقف بعد هذا البيان أصبح متاحا لرجوع الحرب، وهذا تأكد حين قامت دورية من المجاهدين في 8-11- 1929م بمهاجمة سرية إيطالية وإبادتها في قصر المقدم. وعلى هذا الموقف قام وزير المستعمرات دي بونو في 10 – 11 – 1929م بتوبيخ بادليو، لما نشره من أكاذيب عن استسلام عمر المختار دون شرط أو قيد، وإن كل تلك التصريحات التي أعلنها بادليو في بنغازي وطرابلس كانت بعيدة عن الحقيقة، ولذا قام دي بونو بإجبار بادليو على تطبيق تعليماته الجديدة، والتي حظت أيضا بموافقة موسيليني نفسه، وهذه التعليمات كانت كالآتي:

1- إيقاف المفاوضات مع الاستعداد بمهاجمة عمر المختار ورجاله.

2- تشديد الرقابة على أفراد العائلة السنوسية.

3- يمنع الحديث عن الاستسلام مالم يكن واقعيا.

4- إعدام كل من يقع في الأسر من مشائخ القبائل.

5- كتمان هزيمة بادليو في المفاوضات ومنع تسريب أي تفاصيل عنها.

6- إقالة سيشلياني من دون أن يشعر السكان المحليين بأن إيقافه كان نتيجة لعدم نجاحه في المفاوضات. حيث نجد أن دي بونو قد أبتعد عن إقالة بادليو، واعتبر المساس به في الوقت الحالي سيكون له تأثيرات كبيرة على المستوى المحلي والإيطالي.[66]

قام بادليو على الفور بالإيعاز إلى الجنرال سيشلياني ببدء الحرب، فقام هذ الاخير في يوم 16 – 11 – 1929م بتحشيد معظم قواته التي ضمت أربع طائرات، وعدد كبير من المصفحات والجنود بتطويق معسكرات عمر المختار في الجبل الأخضر، وكان سيشلياني على يقين بأن قوات عمر المختار خلال فترة الهدنة قد تفككت وأنه على وشك الهزيمة. وقد قامت طائراته بقصف تواجد المجاهدين، ومخيمات الأهالي، وتسببت هذه الغارات بقتل الشيوخ والنساء والأطفال، وقد تمكن المجاهدون من إسقاط

---

[66] انجليوا ديل بوكا، **الإيطاليون في ليبيا**، ترجمة محمود علي التائب، منشورات مركز جهاد الليبيين للدارسات التاريخية، طرابلس، 1995، ص ص 161، 162. انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 105، 106.
Helen Chapin Metz, **Libya a country study, Beduins approaching a Libyan oasis**, Federal Research Division, Library of Congress, Fourth Edition,1989, p, 28.

إحدى الطائرات وأسر قائدها. وكان سيشلياني قد أصدر بيانا جاء فيه "**لقد فرضت علينا خيانة عمر المختار استئناف الحرب ضد الثورة، وسيكون قتالا شاملا بلا رحمة ولا توقف ضد كل من يرفع السلاح في وجه الحكومة أو يحمله دون ترخيص**".[67]

وقد استمر القتال بين الطرفين لمدة اسبوعين أسفر عن فشل الجيش الإيطالي في القبض على عمر المختار الذي تمكن من الإفلات من مخططات سيشلياني في تطويقه في معسكراته، وكانت هذه أول معركة يخوضها بادليو ضد عمر المختار، حيث تأكد له إن نتيجة هذه المعركة لم تختلف عن نتيجة المعارك السابقة، وأن كل جهوده في اثارة الفتن والاغراء بالأموال لم تكن ذات جدوى، بل أظهرت أن عمر المختار مازال على صلابته، ولم يتأثر بكل تلك الدسائس.[68] وقد اثارت هذه الهزيمة غضب دي بونو الذي أبرق إلى بادليو في 25- 11- 1929م يحرضه على شن حرب ابادة، لم يشهد العالم لها مثيلا في قسوتها وفظاعتها وتأثيراتها، تشمل الأهالي ومواشيهم، وإن كانت هذه الاعمال تتعارض مع القيم الانسانية، والعرف الدولي فلها مايبررها، وأن المطلوب للتغلب على عمر المختار يكمن في شيئين هما جهاز استخبارات على قدر كبير من النشاط، وقنابل غاز من نوع الايبريت،. وعلى هذا تم استبدال الجنرال سيشلياني بالجنرال غراتسياني في 27 – 3- 1930م الذي جاء منفذا لتلك السياسة التي رسمها دي بونو، انتقاما لفشل المفاوضات، ودعاية بادليو الكاذبة.[69]

---

[67] انجليوا ديل بوكا، المرجع السابق، ص 162. انزوسانتاريللي وآخرون، المرجع السابق، ص ص 105، 106.

[68] انجليوا ديل بوكا، المرجع السابق، ص 162.

[69] رودلفو غراسياني، المصدر السابق، ص ص 84، 85.وهبي أحمد البوري، المرجع السابق، ص ص 127. 128، 129. عمران محمد بورويس، **وقائع أسر ومحاكمة وشنق عمر المختار**، منشورات دار الفرجاني، بنغازي، ص 84.
Eileen Ryan, op, cit, p, 189.

الخاتمة

تبين من العرض السابق أن الإيطاليين منذ مجيئهم إلى ليبيا سنة 1911م، وحتى تاريخ المفاوضات سنة 1929م، عجزوا عن إخماد تلك المقاومة التي كانت مشتعلة في أنحاء واسعة من ليبيا، وأن الايطاليين استبدلوا الجنرالات، والقادة مرات عدة في سبيل إخضاع المقاومة، ولكن حين تم تعيين المارشال بادليو حاول اخضاع المقاومة بالقوة، ولكنه تراجع وسخر كل قادته من أجل إنجاح الجلوس مع عمر المختار حتى يتم التفاوض على إنهاء الحرب. كما توصلت الدراسة إلى أن بادليو كان منذ فكرة إعلانه التفاوض مع عمر المختار يضمر الخديعة، والتنصل من كل اتفاق قد ينجح بينهما، إلا إذا تماشت شروط المختار مع مصلحته؛ وكشفت الدراسة على أن بادليو كان حريصا على أن تكون مواعيد اللقاءات متقاربة حتى يشعر عمر المختار بجدية الايطاليين في إنهاء الحرب؛ وكشفت الدراسة أيضا عن ثبات عمر المختار على شروطه، والتي كان في أبزرها حضور مندوبين من مصر وتونس، وتراجع بادليو عن ممانعته برفض هذا الشرط الذي كان متعنتا في قبوله، كما أوضحت الدراسة إلى تسرع بادليو في إبلاغ حكومته عن استسلام عمر المختار، بخلاف ماتفق عليه في اجتماع 19 يونيو. وكشفت الدراسة عن تخلي الحسن الرضا عن مطالب المختار، والمجيء بشروط أخرى غير التي إتفق عليها. مما أدى الى خروج عدد من المجاهدين عن قيادة عمر المختار وانضمامهم إلى الحسن الرضى السنوسي. كما تبين أن الحكومة الايطالية حين تراجعت علانية عن عهودها مع عمر المختار، قام هذا الأخير بتهديد الحكومة الايطالية بإعلان الحرب من طرفه في أكتوبر 1929م، إن لم تلتزم الحكومة الايطالية بتعهداتها. كما كشفت الدراسة بأن عمر المختار قد استبق مهاجمة الايطاليين في قصر المقدم بعد إعلان انتهاء المفاوضات. وتبين أيضا سخرية الأوساط الإيطالية، وعلى رأسها وزير المستعمرات دي بونو من بادليو، الذي بالغ في تزييف الحقائق مدعيا استسلام عمر المختار، مما ترتب على ادعائه الكاذب فشل المفاوضات، وإقالة سيشلياني، ومن ثم بادليو في مارس 1930م.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر:

1- الأشهب، محمد طيب بن إدريس، **عمر المختار**، منشورات مكتبة القاهرة، القاهرة، 1958.
2- شكري، محمد فؤاد، **السنوسية دين ودولة**، منشورات دار الفكر العربي، مصر، 1948.
3- العيساوي، محمد الأخضر، **رفع الستار عما جاء في كتاب عمر المختار**، منشورات مطبعة حجازي، القاهرة ، 1936.

4- غراسياني، رودلفو، **برقة الهادئة**، ترجمة إبراهيم سالم بن عامر، منشورات دار مكتبة الأندلس، بنغازي، الطبعة الثالثة، 1983.
5- محمود، أحمد، **عمر المختار الحلقة الأخيرة**، منشورات مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، 1934.

ثانيا: المراجع:

1- إسماعيل، محمد محمود ، **عمر المختار شهيد الإسلام وأسد الصحراء**، منشورات مكتبة القران للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ.

2- بروشين، ن. إ.، **تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969**، ترجمة عماد حاتم، منشورات دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الثانية، 2001.

3- بورويس، عمران محمد، **وقائع أسر ومحاكمة وشنق عمر المختار**، منشورات دار الفرجاني، بنغازي، بدون تاريخ.

4- البوري، وهبي أحمد، **عمر المختار وغراتسياني**، منشورات مجلس الثقافة العام، 2010.

5- بوكا، انجليوا ديل، **الإيطاليون في ليبيا**، ترجمة محمود علي التائب، منشورات مركز جهاد الليبيين للدارسات التاريخية، طرابلس، 1995.

6- التركي، محمد علي ، **حركة الجهاد العربي الليبي في الفترة من بداية سنة 1924 إلى مارس 1927**، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ليبيا، 2000.

7- التليسي، خليفة محمد، **معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911- 1931**، منشورات الدار العربية للكتاب، بيروت، 1983.

8- الحبوش، يوسف عبدالهادي، **عمر المختار الحقيقة المغيبة**، منشورات مكتبة وهبة، القاهرة، 2017.

9- الحلبي، حمد حمزة، **عمر المختار حياته وعصره**، منشورات الدار العربية للكتاب، بيروت، بدون تاريخ.

10- ريللي، انزوسانتا وآخرون، **عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشستي لليبيا**، ترجمة عبدالرحمن سالم العجيلي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الطبعة الثانية، ليبيا، 2005.

11- الزاوي، الطاهر أحمد، **عمر المختار الحلقة الأخيرة من الجهاد الوطني في ليبيا**، منشورات دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004.

12 - الزنتاني، عبدالوهاب محمد، **الجهاد الوطني أدب وتاريخ**، منشورات دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2006.

13- زيادة، نقولا، **برقة الدولة العربية الثامنة**، منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، الأردن، بدون تاريخ.

14- شاكر، محمود، **التاريخ الإسلامي- التاريخ المعاصر بلاد المغرب**، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الثانية، 1996.

15- شلبي، محمد، **حياة عمر المختار**، منشورات دار الجيل، بيروت، الطبعة السادسة، 1996.

16- الشنيطي، محمود، **قضية ليبيا**، منشورات مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1951.

17- الصباغ، ليلى، **تاريخ العرب الحديث والمعاصر**، منشورات جامعة دمشق، الطبعة الثالثة، 1992.

18- العقاد، صلاح، **ليبيا المعاصرة**، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة، 1970.

19- النجمي، عبد الخالق، **الشيخ الجليل عمر المختار**، منشورات دار امجد للنشر والتوزيع، 2016.

ثالثا: المراجع الأجنبية:

1- ARIELLI, NIR, **Colonial Soldiers in Italian Counter-Insurgency**, British Journal for Military History, Volume 1, Issue 2, February, University of Leeds, 2015.

2- Battisti, MAJ Alessio, **of the Italian Counterinsurgency Operations in Tripolitania and Cyrenaica between 1922 and 1931,** School of Advanced Military Studies, US Army Command and General Staff College, Fort Leavenworth, KS, 2021.

3- Metz, Helen Chapin, **Libya a country study, Beduins approaching a Libyan oasis**, Federal Research Division, Library of Congress, Fourth Edition,1989.

4- Ryan, Eileen, **Italy and the Sanusiyya: Negotiating Authority in Colonial Libya, 1911-1931,** PhD in Philosophy, the Graduate School of Arts and Sciences, COLUMBIA UNIVERSITY, 2012.